BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

حوارات الإسكندرية

مركز الخطوط
مضمونه وأهدافه

تقديم
إسماعيل سراج الدين

تحرير
خالد عزب

مركز الخطوط
مضمونه وأهدافه

تقديم
إسماعيل سراج الدين
تحرير
خالد عزب

طبعة محدودة خاصة بمؤتمر الخطوط والنقوش والكتابات المنعقد في

مكتبة الإسكندرية في الفترة من ٢٤ إلى ٢٦ إبريل

الإشراف العام على الندوة
إسماعيل سراج الدين/ مدير مكتبة الإسكندرية

خالد عزب/ مدير إدارة الإعلام و الإرشاد .
إنجي مدحت
نهى عمر

منى النشار/ رئيس وحدة المؤتمرات
دينا السماك
هدى حجاج

جرافيك

نهى حسين/ اخراج فني
محمد جمعة/ الغلاف

مراجعة لغة

محمد خضر
بريهان فهمي

مركز الخطوط والكتابات رسالة من مصر للعالم كله

شهد العالم منذ القرن التاسع عشر حتى الآن كثيرا من المكتشفات الأثرية التي قادت إلى استكشاف معالم حضارات كانت مجهولة، وقادت هذه المكتشفات إلى سبر غور حضارات كالحضارة المصرية القديمة التي كان المؤرخون ينسجون حولها الأساطير فتحولت إلى حضارة مقروءة المعالم، كل هذا كان بفضل فك رموز الكتابات القديمة، ومن هنا فإن الخطوط والكتابات هي إحدى الوسائل المهمة التي تقودنا دائماً إلى معرفة الإنسان وتطور الحضارات. لذا فقد وضعت مكتبة الإسكندرية ضمن أولوياتها دراسة نشأة الخطوط وتطورها في كافة الحضارات بحثاً عن المشترك بين كافة الحضارات، وسداً لثغرة قائمة إذ أن كل الدراسات التي تتعلق بالخطوط تتم إلى الآن بصورة تخصصية انعزالية، فيما عدا محاولات من بعض الباحثين في معهد الخطوط بباريس، فالمتخصصون في فقه اللغات على سبيل المثال يعملون في واد بعيد عن علماء تطور الخطوط والكتابات. فرأينا أن نجمع كل هؤلاء في محاولة لإضافة أبعاد جديدة لدراسة الخطوط والكتابات.

إن تأسيس مركز الخطوط في مكتبة الإسكندرية يصب أيضاً في أهداف المكتبة التي حددتها السيدة الفاضلة سوزان مبارك لمكتبة الإسكندرية، وهي أن تكون ساحة لمختلف الحضارات والثقافات، فالمركز سوف يدرس كافة الخطوط والكتابات في جميع أنحاء العالم في كافة العصور حتى عصرنا الحالي. لقد وضعنا في مكتبة الإسكندرية تصوراً مبدئياً للمركز، ولكي تكتمل صورته رأينا أن نجمع المتخصصين في المكتبة في ندوة عقدت على مدار يومين، نقدم في هذا الكتاب خلاصة لما دار فيها، وقد طرحت فيها تساؤلات عدة حول المركز وتصور كيفية عمله ودوره، والموضوعات التي يجب أن يهتم بها، وترتيب أولويات عمله. وجمعنا باحثين من مصر وسورية والسعودية وفرنسا. وخرجت الندوة بنتائج جيدة.

لقد بدأ نشاط مركز الخطوط من خلال بعض أنشطة المكتبة، فالآن يوجد معرض للخطاطين السكندريين محمد وكامل إبراهيم، كما يجري إعداد معرض آخر للفنان أحمد مصطفى.

كما ندرس حالياً إصدار حولية علمية محكمة، يكون لها لجنة علمية دولية تشرف عليها. كما سيتبنى المركز بعض ورش العمل الخاصة بالخطوط والكتابات، مثل ورش الخط العربي التي نستعين فيها بالخطاط السكندري محمد رطيل المستشار الفني للمكتبة، ومن المقترح إقامة ورش للخطوط في مصر القديمة. إضافة لهذه الأنشطة سيكون للمركز برامج بحثية قد تمتد لسنة أو سنتين أو أكثر طبقاً لمتطلبات كل برنامج على حدة. كما سيكون للمركز موسم ثقافي، ومؤتمرات دولية سيكون أولها مؤتمراً دولياً عن النقوش والكتابات في العالم عبر العصور، في الفترة من ٢٣ إلى٢٥ أبريل ٢٠٠٣، واختير يوم الكتاب العالمي لبدء هذا المؤتمر.

إسماعيل سراج الدين

مدير مكتبة الإسكندرية

بدأت مكتبة الإسكندرية تأسيس مركز الخطوط كأحد المراكز البحثية المتخصصة بها، وسوف يتولى العمل في المركز فريق من المتخصصين في تاريخ الخطوط واللغويات. و المركز يهدف إلى دراسة الخطوط بوصفها أداة أدوات تطور المعرفة الإنسانية. فقد عبر الإنسان منذ بدء الخليقة على جدران الكهوف عن معارفه ورؤيته للكون من حوله من خلال الخط الذي كون منه رسوما للحيوانات والبيئة المحيطة به.

لذا سيكون من أهداف المركز دراسة تطور الخطوط منذ عصور ما قبل الكتابة إلى العصر الحالي، في كافة أرجاء العالم. إن هذه المحاولة هي بداية لمحاولة بحث تطور الحضارات الإنسانية وربطها ببعضها البعض. خاصة أن هذا سيرتبط بالإجابة عن تساؤلات عدة مطروحة من قبل الباحثين حول أوجه التشابه بين نشأة الكتابة في الحضارات القديمة، و لماذا ظهرت أبجديات عديدة ثم اختفت بسرعة؟ وكيفية تطور الخطوط في الحضارات وعلاقة ذلك بتطور الحضارات؟ و حول الخط بوصفه وسيلة لنقل الأفكار والمعلومات.والعلاقة بين التقنيات الحديثة والخطوط. وجماليات الخطوط كأحد وسائل تعبير الإنسان عن حاسته الفنية، وحول تطوير الخطوط في كافة أرجاء الأرض وتسهيلها لمستخدميها، والعلاقة المشتركة بين العديد من لغات العالم بحثاً عن أصل الحضارة الإنسانية.

إن هذا يفرض على مركز الخطوط إعداد برامج بحثية طويلة المدى، وأخرى متوسطة وثالثة قصيرة. وتعد الندوة التي عُقدت يومي ٢٥ و٢٦ يونيو ٢٠٠٢ البداية الحقيقية لمركز الخطوط، إذ التقي بها متخصصون من فروع شتى لدراسة مضمون المركز وأهدافه. حرصت مكتبة الإسكندرية أن تجمع في هذه الندوة متخصصين من عدة فروع علمية من لغويات وفقه لغة وتاريخ الكتابات والنقوش ومتخصصين في اللغات الإنجليزية والصينية والروسية والتركية والفارسية والعربية وغيرها، فضلاً عن خطاطين مارسوا الخط كمهنة فنية.

وننشر في هذه السلسلة (حوارات الإسكندرية) موجزا لما دار من مناقشات عبر يومين، و نص تصور قدمه الدكتور عبد الحليم نور الدين لمركز الخطوط، والمحاضرات التي ألقاها بعض العلماء الأجلاء خلال هذا الحوار العلمي.

خالد عزب

مدير إدارة اللإعلام والإرشاد

مركز الخطوط

مضمونه وأهدافه

كان هذا عنوان الندوة التي عقدت بمكتبة الإسكندرية على مدار يومي الخامس والعشرين والسادس والعشرين من شهر يونيه ٢٠٠٢ ودارت حول إنشاء مركز الخطوط بالمكتبة: المضمون والهدف. وقد جاءت هذه الندوة انطلاقا من أهمية الحوار البناء في الوصول إلى أفضل التصورات والمقترحات، التي تتعلق بإنشاء مثل هذا المركز العالمي، الذى لا يحد اختصاصه تاريخ معين، ولا موقع جغرافي بذاته، ومن هنا فقد تعددت الأصوات المتحاورة بين الشرق والغرب، كل يحمل فكره، ويعبر عن آماله وأحلامه، حول إقامة مركز للخطوط تحتضنه مكتبة الإسكندرية.

وقد بدأ الدكتور إسماعيل سراج الدين بافتتاح الندوة بكلمة أعلن فيها عن تأسيس مركز الخطوط بالمكتبة، وتحدث فيها عن ماهية مركز الخطوط، وأهدافه، وأبرز برامجه البحثية، وأهم أنشطته. فقد تأسس مركز الخطوط في مكتبة الإسكندرية كأحد المراكز البحثية المتخصصة فيها، ويتولى العمل فيه فريق من المختصين في تاريخ الخطوط واللغويات، ويهدف المركز إلى دراسة الخطوط باعتبارها أداة رئيسية من أدوات تطور المعرفة الإنسانية منذ عصور ما قبل الكتابة حتى عصرنا الحديث.

وأشار الدكتور سراج الدين في كلمته إلى المعنى العميق الذى ترمز إليه الجدارية التي تتصدر المكتبة، وتضم حروفا من جميع لغات العالم – دلالة على الانفتاح على الحضارات الأخرى، والتوق إلى احتوائها، بداية من التعرف على النقوش والكتابات القديمة والمعاصرة، ومن ثم فان إنشاء مركز للخطوط بالمكتبة لا يعني أنه سيقوم بتعليم الخط العربي، فلذلك أماكن أخرى، وإنما الهدف أن يكون لدينا بؤرة تتجمع عندها أنوار الحضارات المختلفة، ومن ثم مركز إشعاع حضاري متكامل.

وبعد ذلك تحدث الدكتور خالد عزب، معلنا أن هذه الندوة هى البداية الحقيقية لمركز الخطوط، وبدء قيامه بدوره الرئيسي ربطا بين القديم والحديث، وإبرازا لدور العلاقة الجدلية القائمة بين الأصالة والمعاصرة.

ثم أعطيت الكلمة للدكتور رأفت النبراوى – عميد كلية الآثار – الذى أشار إلى أن إنشاء مثل هذا المركز يعد من الأحداث المهمة التي اضطلعت بها مكتبة الإسكندرية؛لأنه سوف يسهم في كثير من مجالات الآثار، سواء المصرية القديمة، أم اليونانية أم الرومانية، أم القبطية، أم الإسلامية.

وأشار كذلك الى الدور الذى يمكن أن تقوم به الجامعات المصرية في سبيل إنجاح هذا المركز الذى سيعطينا صورة كاملة عن الخطوط على اختلاف أنواعها،كما أكد بشكل أساسي على الدور الذى سوف تقوم به كلية الآثار في تطوير هذا المركز.

ثم كانت الكلمة الضافية التي ألقاها الدكتور عبد الحليم نور الدين أمين المجلس الأعلى للآثار، وأثنى عليها الحاضرون،وقد أشار في بدايتها إلى أن فكرة إنشاء مركز للخطوط ليست في حاجة إلى مبررات، وإنما تحقيقها هو تحقيق لحلم طالما راود الكثيرين، وهو المعرفة الكاملة بفن الكتابة، وما يتعلق بالخطوط قديمها وحديثها على السواء، وما يمكن أن يضيفه هذا الى عالم المعرفة. وأشار كذلك إلى أن احتضان مكتبة الإسكندرية لمثل هذا المركز، ورعايتها له، هو من صميم مهمتها بوصفها مركز إشعاع علمي قديماً وحديثاً.

ثم قدم الدكتور عبد الحليم نور الدين تصوره الخاص حول فكرة إنشاء مركز للخطوط، والأقسام التي ينبغي أن يتضمنها لتكتمل الغاية من إنشائه، وهى – فيما يرى – خمسة أقسام، **فالقسم الأول** - هو قسم خاص بالمخربشات، ويعنى بأمر المخربشات المصورة أو المخطوطة، التي سجلها إنسان ما قبل التاريخ، أو الرحالة في العصور التاريخية على مسطحات الصخور وغيرها. وهى تغطى مساحة كبيرة من الشرق الأدنى القديم، والشرق الأقصى، وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. **والقسم الثاني** - هو قسم يعنى بالخطوط التي ظهرت في العصور التاريخية في حضارات الشرق الأدنى القديم، في وادي النيل، وبلاد ما بين النهرين والجزيرة العربية والأناضول. **والقسم الثالث** - يعنى بالخطوط التي ظهرت في العالم الكلاسيكي في بلاد اليونان والرومان والولايات الخاضعة لها. **والقسم الرابع** - يكون اهتمامه بالخطوط التي ظهرت في آسيا (في الصين واليابان، والهند، وأفغانستان، وباكستان..) أما **القسم الخامس** - فيهتم بالخطوط التي ظهرت في حضارات أفريقيا.

وفى هذا الصدد، لا يفوت الدكتور عبد الحليم أن يشير إلى بعض الأمور الضرورية لإنشاء مثل هذا المركز، وإنجاحه، ومنها الاهتمام بإعداد الكوادر البشرية المتخصصة في الخطوط واللغات، وتدريبهم تدريبا عالياً سواء في الداخل أو في الخارج؛ الاهتمام بإنشاء مكتبة متخصصة للمركز، ولعل هذا من أهم الأمور التي ستتيح للمركز أن يقوم بدوره خير قيام؛ كذلك إنشاء قاعات للبحث مزودة بكل الإمكانات وأدوات البحث الحديثة في هذا الميدان؛ التعاون مع المراكز المتخصصة محلياً وعربياً ودولياً (ICOM, ICOMOS, ICROM)؛ الاهتمام بحصر الدراسات التي تمت في كل فرع من فروع الخطوط، والإعداد لملتقى ثقافي شهري، وآخر سنوى عالمي، ولا بأس من الاستفادة من تجربة مركز البرديات والنقوش بجامعة عين شمس، أو من تجارب مشابهة

في تونس، وإسبانيا، وألمانيا، وإيطاليا.. ويمكن استحداث أقسام مهمة أخرى، مثل قسم الأدوات والمواد الكتابية في مختلف الحضارات، وقسم لترميم المواد الكتابية، يمكن أن يسهم في ترميم مواد الكتابة في المتاحف المصرية، وفى غيرها.

ومن ثم تحدث الدكتور نور الدين، عن الدور الذى يمكن أن يقوم به مركز الخطوط، مثل: التنسيق بين الجهات العلمية المعنية بأمر الخطوط واللغات في العالم. وإعداد الدراسات الخطية المقارنة بين الخطوط في العصور المختلفة، من حيث التأثير والتأثر. ومثل البحث في العلاقة بين خطوط بعض اللغات القديمة والخطوط التى تكتب بها العربية. ومثل إحياء الخطوط التى كتبت بها اللغات التى سادت في حضارات الشرق الأدنى القديم.... وغير ذلك كثير.

فإذا كانت الريادة الحضارية في العالم القديم قد بدأت في منطقة الشرق الأدنى، فإن هذه الخطوة التى اتخذتها مكتبة الإسكندرية نحو إنشاء مركز للخطوط ستكون خطوة متميزة في طريق الريادة في العالم الجديد.

وعقب الدكتور خالد عزب على ما قدمه الدكتور عبد الحليم نور الدين في كلمته الضافية، بأنها تعد خطة عمل متميزة وممتازة لإنجاح عمل المركز، وسوف يأخذ بها، وبما فيها من خبرة عريضة في هذا المجال، وإن كان لابد من مدة كافية نتلقى فيها كافة المقترحات. وهى ممتدة لحين عقد مؤتمر إبريل ٢٠٠٣.

وقد دارت بعض المداخلات التى أثارتها كلمة الدكتور نور الدين. وتعددت من ثم الآراء والمقترحات، ولكنها في مجملها تركزت حول عدة نقاط:

أولها ـ أن الخط نتاج حضاري، وله علاقات تربطه بالصوتيات والأنثروبولوجيا والإنسانيات، فينبغي أن يؤخذ هذا في الاعتبار، إضافة الى جوانبه الأثرية والنفسية.

وثانيها ـ ضرورة الاهتمام بالخط العربي، في محاولة للحد من طغيان الحاسب الآلي وإلغائه الوظيفة الإبداعية لدى الفرد، ولا باس من إقامة مسابقات للخط العربي على غرار مسابقة اسطنبول السنوية، التى كثيرا ما يفوز فيها مصريون.

وثالثها ـ الاهتمام باللغات التى تتعرض للانقراض، ومحاولة إحيائها والحفاظ عليها.

ورابعها ـ ضرورة تسخير كل الإمكانات المتاحة لتطوير مركز الخطوط، للوصول به لأن يصير مركزا توجيهيا للمؤسسات المختلفة في التخصص.

وخامسها ـ أن هناك محورا لمشروع مهم ينبغي أن ترعاه المكتبة، وهو يتمثل في العلاقة بين العلم والخط والفن والثقافة، وعليها من ثم أن تصدر موسوعة عن تطور الثقافة الإنسانية، وعلاقته بالخط وأطواره المختلفة.

وسادسها ـ أهمية أن يضم المركز مجموعة متميزة من الباحثين والخبراء المختصين بفحص المخطوطات، والتعرف على ماهيتها، ومدى أصالتها.

وعلق الدكتور عبد الحليم نور الدين: إن المسئولية الواقعة على عاتق مركز الخطوط كبيرة بحق، بدءا بتسجيل اللغات القديمة كلها، أو على الأقل بتجميع الجهود السابقة في هذا المجال، ثم الاهتمام بحال الخط في الوطن العربي كله، إحياء وتدعيما ومحافظة من خلال تدريب الكوادر المتخصصة في الخط والكتابات القديمة، ومن خلال المسابقات المحفزة على بذل الجهد والعرق في سبيل المعرفة والتعلم، وكل هذا في حاجة إلى إمكانات ضخمة، إذا توفرت صرنا أمام صرح بحثي توجيهي عالمي عملاق.

وبعد ذلك أعطيت الكلمة للدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري، الذى تحدث عن مركز الخطوط والدور المقترح في دراسة الكتابات والنقوش القديمة في شبه الجزيرة العربية، فبدأ كلمته مشيدا بالتصور الذى قدمه الدكتور عبد الحليم نور الدين، الذى يستحق من العالم العربي كل جهد ومعونة، من أجل توحيد الجهود المتفرقة، ليقف هذا الصرح مؤديا دوره الرائد في الوطن العربي ومشعا على العالم أجمع.

ويرى الدكتور عبد الرحمن الأنصاري أن مثل هذا المركز شئ مهم ليعيد إلى عالمنا العربي دوره الريادي الذى انتزع منه حين تخاذل علماؤنا، ونكصوا عن تعلم اللغات القديمة، فهناك على سبيل المثال نص مسماري، تم اكتشافه منذ ثلاث سنوات، ولم نعرف مضمونه حتى الآن! رغم أهميته الشديدة. إن الغربيين بكل أسف هم المتخصصون في هذا العلم، وهم الرواد فيه الآن، لعدم اهتمام العرب بهذا الجانب. ولكن هذا المركز يحمل دون شك بارقة الأمل المنشود، بل لعلها منارة الأمل في أن تبدأ العقول العربية في الكشف عن الكنوز التاريخية للكتابة في عالمنا العربي، في شبه الجزيرة، وفى غيرها، ودراستنا للكتابة هى وسيلة للتعرف على جوانب أخرى للحضارة علينا أن ندركها جيداً، وأن نعرفها تمام المعرفة قبل أن نبدأ بالاطلاع على حضارة الآخرين، وثقافاتهم.

وبعد كلمة الدكتور عبد الرحمن الأنصاري، جرت بعض المداخلات التى أثارتها الكلمة، حيث أضافت الدكتورة آمال عامر أستاذ الآثار: هناك حقا صلات وثيقة جداً بين مصر والجزيرة العربية، تدلنا عليها شواهد أكثر من خمسة آلاف قبر موجودة في أسوان لجماعات من القبائل العربية التى عاشت في أسوان. وكذلك المخربشات المتشابهة في كل من مصر والأردن وجزيرة العربية، التى تدلنا على الصلات التجارية والثقافية القديمة بين هذه البلاد.

وأضافت الدكتورة فايزة صقر إضافة وضيئة حول الكتابة المسمارية، التى كانت بمثابة لغة التعامل الدبلوماسي الدولي قديما بين الشعوب، أي أن الخط المسماري لم يكن خطاً عراقياً محلياً، بل كان يقوم بما تقوم به اللغة الإنجليزية الآن كوسيط للتعامل الدولي.

وبذلك يكون اهتمام مركز الخطوط في مكتبة الإسكندرية بهذا الخط، إحياء لجانب مهم من جوانب الحضارة العربية.

وأضاف الدكتور خالد عزب – ختاماً لتلك المداخلات – أن المكتبة تتبنى حالياً إنجاز مشروع ضخم يهدف الى ترجمة مجلد موسوعي، يعد أهم كتاب في مجال الكتابة والنقوش، سيكون له أكبر الأثر في إضاءة كثير من الجوانب التى تحدث عنها الحضور الكرام.
وفى اليوم التالي، استكملت فعاليات الندوة « مركز الخطوط: مضمونه وأهدافه »

وبدأها الدكتور عبد المنعم عبد الحليم بإلقاء محاضرته حول نشأة الأبجدية، وعرفنا من خلالها أن شعب سيرابيت الذي كان يعيش في سيناء، وكان يشتهر بتعدين حجر الفيروز، هو الذى اخترع الأبجدية، وأن المصريين هم أول من استخدمها سواء كحروف أبجدية، أو باعتبارها مكملات صوتية.

وقد تحولت تلك الأبجدية السينيائية عن شكلها التصويري لتأخذ شكلاً أكثر تجريداً هو الشكل الخطى، أو الكتابة الفينيقية. وعرفنا كذلك أن الخط العربي نشأ في منطقة الحجاز مأخوذاً من الخط النبطي، ولذلك براهين كثيرة ساقها الرجل في محاضرته التي اتسمت بالعلمية الشديدة، والتخصص الدقيق. ومثل هذه المحاضرات لا يتوقف حولها النقاش، فقد أثارت تساؤلات كثيرة من الحاضرين، ومداخلات مضيئة، حول كثير من النقاط المهمة التي أثارتها، حول أقدم الأبجديات المعروفة، وقد اّتفق على أن الأبجدية الهيروغليفية هي أقدمها على الإطلاق، بينما الأبجدية التي اكتشفها الأمريكيون بالقرب من «ابيدوس » فهي أقدم أبجدية سامية. وحول التشكيل في اللغة العربية ، وهل وجد في مصحف عثمان، قال الدكتور عبد المنعم :إن التشكيل بدأ فعلياً مع أبي الأسود الدؤلي، وكان هذا خاصاً بالتشكيل في المصاحف، ولكنه قد يكون موجوداً من قبل في نصوص أخري غير مقدسة.

ورداً على سؤال حول إغفاله كتاب لويس عوض عن علاقة العربية بالهيروغليفية،أجاب: إن الكتاب مجرد اجتهادات غير مبنية على أسس علمية، فهو لا يعتمد على الأدلة الأثرية، وجل اهتمامه باللغات وليس بالكتابات.

وكانت آخر المداخلات من الأستاذ جمال الغيطاني، الذي تحدث عن حضارتنا المصرية القديمة التي تتعرض لمحاولات نهب وسرقة، ليست مباشرة، وإنما تتم باسم العلم، وعن طريق الأبحاث العلمية، ولهذا فنحن في أشد الحاجة إلى مركز الخطوط بمكتبة الإسكندرية، وإلى غيره لنكتشف حضارتنا بأنفسنا، دون الاعتماد على الآخرين الذين يأتون غالباً طامعين فيما عندنا من كنوز لا تقدر بثمن، وأي ثمن للتاريخ المجيد، والحضارة العريقة؟!

وبعد ذلك ألقت الدكتورة فر يدريك سودان، الباحثة في مؤسسة ماكس فان بيرشيم بجنيف– كلمة حول مشروع جديد يتعلق بالنقوش العربية والفارسية والتركية منذ القرون الوسطى حتى أواخر القرن السادس عشر، بشأن جمعها تحت ما يسمى «خزينة النقوش الإسلامية» حيث سيتم جمع المخطوطات النادرة والنقوش الخاصة بتلك الفترة، وتوزيعها على شكل أقراص مضغوطة، وقد صدرت حتى الآن ثلاث مجموعات حتى عام ١٩٩٩، أما المجموعة الرابعة فهي تخص النقوش المصرية، ويتوقع صدورها مع حلول عام ٢٠٠٣، وهي مجموعة من النقوش يتم جمعها لأول مرة جمعا كاملا في هذا الإصدار... وفى ختام كلمتها دعت الدكتورة سودان إلي مد يد المعاونة، والتعاون مع المؤسسة من أجل إنجاز مشروعات كثيرة تخدم الإنسانية. ولاشك أن التعاون مع « مركز الخطوط » في مكتبة الإسكندرية يمثل مطمحاً كبيراً، حيث سيذلل كثيراً من المصاعب من خلال الباحثين فيه، أو توفير المخطوطات والحصول عليها.

وعلى هامش الندوة عقدت حلقتان للمناقشة، دارت الأولى حول دور مركز الخطوط في دراسة النقوش والكتابات، وأدار الحلقة الدكتور عبد الرحمن الأنصاري الأستاذ بجامعة آل سعود، والدكتور عبد الحليم نور الدين أمين المجلس الأعلى للآثار، وبعد مناقشات مثمرة ذات فائدة كبيرة حول اسم المركز: هل يكون «مركز الخطوط» أو «مركز الخطوط والكتابات» أو «مركز الخطوط والكتابة» أو«مركز الكتابة»... اتفق الحضور– ومنهم الدكتور حسين نصار والأستاذ جمال الهمشرى، والدكتور محمد الضالع والدكتور محمد الجمل، والدكتور محمد حمدي إبراهيم، والدكتور حامد أبو احمد، والدكتور بهجت القبيسى، والدكتور عبد المنعم عبد الحليم – اتفقوا على اسم «مركز الخطوط والكتابات» ليطلق على ذلك الصرح العلمي المزمع إنشاؤه، وافتتاحه من ثم في اليوم العالمي للكتاب ٢٣ أبريل، ٢٠٠٣ ثم دار النقاش بعد ذلك حول التصورات التي يمكن للمركز أن يقوم من خلالها بوظيفته على الوجه الأكمل، وأهمية تضافر الجهود من أجل إنجاح هذا الصرح ومن ثم قيامه بدوره الريادي من مكانه في مكتبة الإسكندرية.

ودارت الحلقة الثانية برئاسة الدكتورة مكارم الغمرى، حول اللغات المعاصرة ودراسة خطوطها وماذا ينتظر أن يقدمه المركز بهذا الصدد. وقد شارك في الحلقة كل من، الدكتور ماهر مصطفى، والدكتور السباعي محمد السباعي، ومن أبرز نتائج هذه الحلقة : أن اختيار مكتبة الإسكندرية لتكون هي الحاضنة لهذا المركز هو اختيار موفق حيث يصبغ على المشروع صفة العالمية التي تتمتع بها المكتبة، وهكذا سنجد أنفسنا فاعلين مشاركين في ركب العولمة، فينبغي أن نتسلح لذلك بكل عدة، أول ذلك دقة التخصص، فينبغي أن يتشعب المركز إلي عدد من الشعب البحثية التي تختص كل واحدة منها بفرع معين من اللغات، والموضوعات المتعلقة بها. وقد راودت الحضور أمنية إصدار موسوعة، عن المركز، تضم الخطوط والرسوم والنقوش الأكثر

تأثيراً في حياة الإنسانية، ويكون اسمها مثلاً « تاريخ الثقافة الإنسانية من خلال الخطوط » حيث تكون نقطة الانطلاق هي الخط وارتباطاته المتعددة بالقيم الإنسانية المختلفة، كالجمال في الفن والحق في المنطق والتفاهم والتسامح في الأديان، والعدالة والسلام في السياسة.

وانتهت الندوة التي عقدت على مدار اليومين، وانصرف الحضور، وبقيت آمالهم وأحلامهم في صورة توصيات اتخذت في الجلسة الختامية، وكان من أهمها: أن يسمى المركز باسم « مركز الخطوط والكتابات » على أن يتم تخصيص مقر له يتوفر على قاعات بحثية مجهزة بالأدوات والكتب اللازمة، وأماكن لاجتماع اللجان. وأن تشكل فرق بحثية متخصصة توفر لها المنح الدراسية والمهمات العلمية في التخصصات النادرة. وأن يهتم المركز بصفة أساسية بالخطوط والكتابات في العالم العربي منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الوقت الحاضر، وكذلك على الخطوط التي ظهرت في أجزاء أخرى من العالم في إطار التأثير والتأثر على المستوى الحضاري. وأن يتم تكوين جهاز للنشر العلمي يتولى إصدار الكتب والدراسات والنشرات الخاصة، والدوريات المتخصصة المحكمة،وأن يخصص له موقع على شبكة الإنترنت، وأن يتم إنشاء مركز للصيانة والترميم وحماية الوثائق.

وضمن فعاليات الندوة، ومن منطلق فتح باب الحوار، والاستماع الى كل الآراء والمقترحات، تم عقد حلقتين نقاشتين دارت أولاهما حول دور مركز الخطوط في دراسة النقوش والكتابات، وأدارهما كل من، الدكتور عبد الرحمن الأنصاري، الأستاذ بجامعة آل سعود، والدكتور عبد الحليم نور الدين، أمين المجلس الأعلى للآثار.

وقد بدأ الدكتور عبد الرحمن الأنصاري متسائلا، هل عناية المركز تنصب على جماليات الخط، أم على دراسة النقوش وما تحويه من معلومات، ولابد من الاتفاق على الهدف حتى نحدد الاسم المقترح وترجم الدكتور خالد عزب الأمر، فأشار الى ان الاسم المقترح هو «مركز الخطوط والكتابات» حتى لا يذهب النقاش مذاهب بعيدة عما نحن بصدده. وتدخل الدكتور حسين نصار : أعتقد أن « مركز الخطوط » هو انسب الأسماء للمركز، وخصوصا أنني أفهم أن كلمة «الخطوط » تعني كل ما خُط، فهي لا تعني استبعاد المخربشات مثلا، أو الكتابة التصويرية.

ومن ثم أخذ الكلمة الدكتور عبد الحليم نور الدين، الذى يرى أن هناك وسائل معقدة للتعبير عن الخط، وقال: إن اللغة العربية كتبت بمجموعة من الخطوط، ولكنها في النهاية لغة واحدة. ومن ثم فالخط هو أسلوب في التعبير، ونحن نستطيع ببساطة أن نفرق بين الخط وبين الكتابة، فإذا قلنا« مركز الخطوط والكتابات » فالمتصور بالخطوط شئ غير المقصود بالكتابات.

وتدخل الدكتور محمد الضالع (أستاذ الصوتيات بجامعة الإسكندرية): أرى أن يكون اسم المركز هو«الكتابات» لأن الخطوط كما يرى الدكتور نور الدين إنما هى كماليات، فيجب أن نعزل الخط بمعناه الجمالي عن اهتمام المركز.

الدكتور نور الدين: أنا لم أقل إن الخط شئ كما لى، إنما الخطوط مكملة للكتابات، وهى ضرورية في اسم المركز.

وأضاف الدكتور محمد الجمل، أستاذ الآثار ان هذا منطقي، وبخاصة أن المركز سيهدف إلى دراسة الخطوط بدرجة أساسية سواء كانت على الورق أو غيره.

الدكتور محمد حمدي إبراهيم، الأستاذ بجامعة القاهرة: هل يمكننا أن نطلق عليه « مركز الخطوط والكتابات القديمة»؟

وتساءل الدكتور حامد ابو احمد، رئيس قسم اللغة الأسبانية بجامعة الأزهر هل سيقتصر المركز على اللغة العربية فقط، أم أنه مركز عالمي، ففي حالة كونه عالميا، فأنا متفق على« مركز الخطوط والكتابات » أو« مركز الخطوط والنقوش »؟

الدكتور عبد الرحمن الأنصاري: إنه مركز عالمي بكل تأكيد، وكوننا نكثر الحديث عن العرب والعربية، فإنما هذا من باب البحث عن معرفة الذات، قبل البحث عن الآخر، وهل نستطيع فصل حضارتنا عن حضارة الآخرين، إن فينا جزءا منهم، وهم بالتالي فيهم جزء منا.

ولكنني اقترح اسما آخر للمركز هو: «مركز الخطوط والنقوش» وهذا لأن كلمة «الكتابات» قد تحيلنا الى الكتابات الأدبية من قصة وغيره.

الدكتور بهجت القبيسى: إذا أردنا كلمة ساحرة ناجحة، فهي «كتابات» ولعلها أفضل.

الدكتور عبد المنعم عبد الحليم: إن الكتابة أسبق من الخط، فأنا أرى أن نتبع التطور التاريخي في اسم المركز « مركز الكتابات والخطوط » الدكتور عبد الحليم نور الدين: اتفق مع الدكتور عبد الرحمن الأنصاري في مسألة أخذ الحضارات بعضها عن بعض، فهم أخذوا منا، ونحن أخذنا منهم- السنا نستعمل مصطلحهم في كثير مما نحن بصدده، كما أشار الدكتور الأنصاري الى ذلك، وإن كنت أرى أن لنا مصطلحاتنا في مقابل مصطلحاتهم، المهم أنني حين أذكر الخط، فأنا لا أعنى بداية البعد الجمالي، وإنما هو وصف ضروري لكائن غير معروف إلا به، وإلا فبم اصف هذا الشيء على الورق او على الحجر؟

إن البعد الجمالي الذى يتعلق به الكثيرون هو بعد إضافي، يأتى في مراحل تالية لمرحلة التعريف والتعرف، ففي رأيي أن أفضل اسم يطلق على المركز هو: (مركز الخطوط والكتابات) إنه أفضل ما يعبر عن مضمون هذا المركز.

وبعد أن اتفق الحضور حول اسم المركز، وأن (مركز الخطوط والكتابات) هو أنسب الأسماء التي يمكن أن تطلق عليه- أثيرت موضوعات أخري تتعلق بوظيفة المركز، والمهام التى ينتظر ان تناط به الدكتور قوس الأنصاري: إن جمع النقوش والكتابات شئ مهم جدا، وإذا ما قام المركز بهذه المهمة، فإنه يكون قد أنجز إنجازا عظيما، وأسهم بفاعلية في هذا المجال.

وأضاف الدكتور حسن السعدي: تكملة لكلام الدكتور أوس الأنصاري، فإن من الضروري أن يكون هناك تواصل علمي بين المركز وبين المراكز المتخصصة، لتتم عملية الجمع هذه على الوجه الأكمل.

الدكتور محمد الجمل: نتمنى أن يكون المركز مركزاً بحثياً، وأن يتم تشكيل فرق بحثية لنصوص الشرق الأدنى القديم، ونصوص شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.. على أن يعاد نشر الأعمال المطبوعة قديماً، ويتم تكملتها من خلال جهد المركز.

الدكتور نور الدين: إنه بالفعل مركز بحثي، وليس تعليمياً، وتلك إحدى ميزاته.

الدكتور بهجت القبيسي: من المهم جداً توفير مكان مناسب لمثل هذا المركز، وتجهيزه تجهيزاً جيداً، وإعداد صالات العرض، وقاعات البحث.. إلخ

وبعد ذلك لنا أن نتساءل عن البداية - كيف تكون؟ أتصدر أن نأخذ مده شهرين مثلا لتجميع كل ما لدينا من كتابات قديمه، ومن ثم نقوم بإخراجها بشكل علمي ومنطقي، وإنها لفرحه عظيمة أن يضمنا مركز واحد للبحث، ولقراءة مثل هذه النقوش والكتابات القديمة تحت إشراف أساتذة متخصصين، إنه التكامل المنشور لإخراج نتائج ذات قيمة.

الدكتور الأنصاري: أتمنى أن نحطم مبدأ الفردية الذى يحكمنا نحن العرب، وأن نتعود على إقامة الحوار، والاستفادة المتبادلة من خبرات الأخرين من خلال العمل الجماعي. وأتمنى أن يكون المركز بداية هذا التحول، وإنني متفائل جداً بإنشاء هذا المركز، وبالفعل جميعنا يعلق عليه أمالا كبارا.

الدكتور عبد المنعم عبد الحليم: إن لنا أن نتفاءل، فالعمل في المركز سيكون موزعاً على مجموعات، تختص كل واحدة منها بفرع من الكتابات، ولن تكون هناك نتائج إلا من خلال تبادل الأفكار، والتعاون المشترك، والتفاني والإخلاص في هذا العمل الذى تقوم به المجموعة، وبهذا يصير لدينا مركز للخطوط نفخر به.

وكانت الحلقة النقاشية الأخرى حول اللغات المعاصرة،ودراسة خطوطها، وما يتوقع أن يقدمه المركز في هذا الشأن - وقد أدارت هذه الجلسة الدكتورة مكارم الغمرى، بحضور كل من: الدكتور ماهر مصطفى أستاذ الأدب الألماني، والدكتور السباعي محمد السباعي عضو مجمع اللغة العربية، ورئيس مركز الدراسات الشرقية.

الدكتور ماهر مصطفى: إن تاريخ الكتابة وتطور الخطوط يحمل في طياته تاريخ تطور الشعوب، بل إنه يسهم في هذا التطور كما نعلم عن محاولات تطوير اللغة الجرمانية - مثلا - لتيسير استيعاب الكتاب المقدس فكانت الألمانية في شكلها الأول، المعروفة باسم القوطية. وكذلك ما نلاحظه في عصر الباروك من الارتباط الشديد بين الخط والقيم الجمالية والفكرية.. لذلك فحين نتمنى أن يصدر عن المركز موسوعة تضم الخطوط والنقوش والرسوم الأكثر تأثيرا فى حياة الإنسان، وليكن اسمها مثلاً. (تاريخ الثقافة الإنسانية من خلال الخطوط) فإن هذه الأمنية هى حلم كبير، يمكن للمركز أن يحققه انطلاقاً من ارتباط الخط بالقيم الإنسانية.

الدكتور السباعي محمد السباعي: إننا سعداء بإنشاء هذا المركز، ونعلق علية أمالا كبيرة، ونرجو أن نصير من خلاله مشاركين في موكب العولمه، بخاصة وأن إنشاءه في أحضان مكتبة الإسكندرية يمنحه صفة العالمية فيدخلها من أوسع الأبواب، ولهذا فنحن نحتاج إلى خطة عمل محكمة بدءاً من تقسيم المركز إلى عدد من الشعب البحثية المتخصصة، كل واحدة منها تهتم بفرع من اللغات تبذل فيه جهدها من أجل تجلية كل جوانبه، ولاشك أن هذا سيحتاج وقتاً، فهناك مرحلة الجمع، حيث يتم جمع كل الإنجازات السابقة، ثم مرحلة التقويم، وهى تحتاج إلى تكاتف الجهود من أجل تمييز ما تم جمعه، وتصنيفه للخروج منه بنتائج مفيدة، وألا كان جهدنا تكراراً عبثياً لا طائل من ورائه، ونحن نكرر مع بقية الزملاء ونؤكد على أهمية أن يقوم المركز بدور بحثي، وألا يفهم من كلامنا أن يقتصر على الجمع والتصنيف فحسب.

الدكتورة مكارم الغمرى: ويجب ألا نغفل العربية وتطورها خارج حدود الوطن العربي، ففي بلاد كثيرة، في وسط آسيا في الأندلس وفى شبه القارة الهندية حدث للعربية تغييرات كثيرة، ينبغي أن نركز على دراستها، التى تعنى في الوقت ذاته دراسة الإمتدادات الثقافية والتاريخية لها، خارج حدود موطنها الأصلي. ولعله من أهم وظائف المركز أن يدرس العلاقة بين تطور الخطوط والأبجديات والتطورات السياسية والاقتصادية.

ومع نهاية الحلقة النقاشية الثانية، كانت قد توفرت لنا مجموعة من التصورات المهمة، والناضجة التى سيكون لها أثرها الكبير في قيام المركز بدوره الرائد في الشرق الأوسط، بل في العالم أجمع.

إنشاء مركز للخطوط في مكتبة الإسكندرية

نص الكلمة التي ألقاها

أ.د. عبد الحليم نور الدين في الندوة

«في إطار إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة بما تضمنته من مخطوطات حوت العديد من الخطوط وفى إطار ضرورة التواصل بين الماضي والحاضر؛ يجيء تفكير إدارة مكتبة الإسكندرية معبراً عن رؤية حضارية متميزة تتمثل في اقتراح بإنشاء مركز للخطوط يعنى بأمر الخطوط عبر العصور بدءاً بعصور ما قبل التاريخ وانتهاء بالعصور الحديثة مغطياً مساحة تاريخية وحضارية وجغرافية واسعة.

إن إنشاء مركز للخطوط في مصر ليس بحاجة إلى مبررات فهو يقوم في أرض شهدت أقدم الكتابات منذ عصور ما قبل التاريخ حتى ظهرت الكتابة الهيروغليفية ثم احتضنت مصر العديد من الخطوط (الهيراطيقية- الديموطيقية القبطية – اليونانية – الآرامية – العربية القديمة وغيرها).

وكون مكتبة الإسكندرية بمثابة إشعاع على عالم الفكر والمعرفة قديماً وحديثاً فمن الواجب عليها أن ترعى مثل هذا المركز التي يمكن أن يُلقى الضوء من خلاله على تطور الخطوط عبر الزمان والمكان.

وفى إطار الورقة المقدمة من قبل إدارة المكتبة يمكن للمركز أن يتضمن مجموعة من الأقسام يعنى كل قسم منها بمجموعة من الخطوط يربط بينها عامل الزمان أو المكان بالإضافة إلى بعض العوامل الأخرى المشتركة.

١- **القسم الأول:** قسم المخربشات Graffite وهو قسم يعنى بأمر المخربشات أو المخطوطة التي سجلها إنسان ما قبل التاريخ أو الرحالة في العصور التاريخية على مسطحات الصخور وغيرها، ويمكن أن يغطى المخربشات في الشرق الأدنى القديم، والشرق الأقصى، وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

٢- **القسم الثاني:** ويعنى بالخطوط التي ظهرت في العصور التاريخية في حضارات الشرق الأدنى وادي النيل (مصر والسودان) – بلاد النهرين- سوريا الكبرى- الجزيرة العربية- إيران والأناضول.

٣- **القسم الثالث:** ويعنى بالخطوط التي ظهرت في العالم الكلاسيكي في بلاد اليونان والرومان والولايات الخاضعة لها.

٤- **القسم الرابع**: ويعنى بالخطوط التي ظهرت فى آسيا (فى الصين- اليابان- الهند - أفغانستان - باكستان.. إلخ)

٥- **القسم الخامس**: ويعنى بالخطوط التي ظهرت فى حضارات أفريقيا.

ويمكن أن تنشأ أقسام أخرى.

وأود أن أشير إلى بعض القضايا الضرورية بالنسبة لمثل هذا المركز.

الكوادر البشرية

إن الأمر يتطلب إعداد كوادر بشرية متخصصة فى الخطوط واللغات من خلال إتاحة الفرصة لهم للدراسة على المستوى المحلى والإقليمي والدولي. كما أن الأمر يتطلب إعداد دورات تدريبية فى الداخل والخارج.

المكتبات المتخصصة

إن المكتبة هي مركز الثقل فى مثل هذا المعهد لهذا علينا أن نعد لإنشاء مكتبات متخصصة يتم إختيار مضمونها من خلال المتخصصين.

قاعات البحث

لابد من تخصيص قاعات للبحث لكل التخصصات التي يضمها المركز مزودة بكل إمكانات البحث فى هذا الميدان.

التعاون مع المراكز المتخصصة محلياً وعربياً ودولياً

فهناك مراكز للخطوط واللغات منتشرة فى الجامعات الأوروبية والأمريكية وغيرها متخصصة فى البردي والنقوش والمخربشات والمسكوكات وغيرها.

- عمل حصر بالدراسات التي تمت فى كل فرع من فروع الخطوط.
- الإعداد لملتقي ثقافي (مرة كل شهر) حول الموضوع من خلال المتخصصين المحليين والعرب والأجانب.
- الاستفادة من تجربة مركز البردي والنقوش بجامعة عين شمس.
- أن يكون هناك مؤتمر سنوي يعقد فى إبريل من كل عام له صفة العالمية.
- إشراك ICOM
- إشراك ICOMOS

ICROM

- إنشاء قسم لأدوات ومواد الكتابة فى مختلف الحضارات يمكن أن يتضمن فى المتحف المقام فى المكتبة.

- عمل حصر للبرديات والأوسترا، ومواد الكتابة المسجل عليها كتابات والكائنة فى المتاحف فى مصر.
- إنشاء قسم لترميم مواد الكتابة يمكن أن يسهم فى ترميم مواد الكتابة فى المتاحف المصرية ويمكن الاستفادة من تجارب مراكز متخصصة فى تونس وأسبانيا وألمانيا وإيطاليا.
- تشجيع دراسة الخطوط فى كليات وأقسام الآثار بالجامعات المصرية والعربية.

الدور الذي يمكن أن يلعبه مركز الخطوط

١- التنسيق بين الجهات العلمية المهتمة بأمر الخطوط واللغات فى الوطن العربي والخارج.
٢- إعداد الدراسات الخطية المقارنة من حيث التأثير والتأثر بين الخطوط فى العصور المختلفة.
٣- البحث فى العلاقة بين خطوط بعض اللغات القديمة والخطوط التي كتبت بها العربية.
٤- إحياء الخطوط التي كتبت بها اللغات التي سادت فى حضارات الشرق الأدنى القديم كالسورية - البابلية - الآشورية - المصرية القديمة / الهيروغليفية - الهيراطيقية- الديموطيقية- القبطية- الفينيقية- العربية القديمة- الآرامية- العبرية- الفارسية.. الخ.
٥- الإسهام فى نشر الوعي الأثرى بين الدارسين وغير الدارسين بالكتابات القديمة.
٦- متابعة الجديد فى مجال الدراسات الخطية واللغوية.

السيدات والسادة

إن إنشاء مركز لدراسة فن الخط والكتابات المختلفة سوف يمثل نقطة انطلاق مهمة فى هذا المجال الذي سبقتنا فيه كثيرا المؤسسة العلمية فى أوربا وأمريكا. وإذا كانت الريادة الحضارية فى العالم القديم قد بدأت فى منطقة الشرق الأدنى القديم (وادي النيل - سوريا الكبرى - بلاد النهرين- الجزيرة العربية - إيران والأناضول) فإنني على ثقة من أن تلك الخطوة الجادة التي تتبناها مكتبة الإسكندرية بما لها من ثقل مصري وعربي ودولي وهى إنشاء مركز للخطوط سوف تكون علامة بارزة على طريق إحياء حضارتنا عبر العصور»

مركز الخطوط بمكتبة الإسكندرية

انطلاقاً من بدهيّة

أن اختلاف نمط الخط لا يدل على اختلاف اللغة

د. محمد بهجت قبيسي

أستاذ التاريخ القديم و اللهجات الكنعانية و الآرامية بجامعات حلب والقاهرة سابقا

لابد من الإشارة في مستهل هذا البحث إلى ضرورة التفريق بين **اللغة والكتابة**، فاللغة تتمثل بأصوات ولا ضرورة أن تكون اللغة مكتوبة، أما الكتابة فهي أشكال يتفق عليها رسماً لهذه الأصوات، ورسم كل صوت نسمّيه حرفاً.

هذه المقولة تقودنا إلى التنويه ببدهيتين اثنتين:

أ- البدهية الأولى

أن اختلاف نمط الخط لا يدل على اختلاف اللغة، فقد كُتبت اللهجة العربية العدنانية (الحجازية القرشية): بالحرف الآرامي المربع، واستعملها ورقة ابن نوفل[1]،كذلك كُتبت بالخط المسند اليمني – رسالة الرسول إلى أهل اليمن[2]. وكُتبت العربية العدنانية بالحرف السرياني وسميت بالكرشونية[3] نسبة لقريش. وأخيراً كُتبت العربية العدنانية بخليط من حرف الجزم والحرف المسند والهيروغليفية (الخط المقدس) وهو أمر نلحظه في نقش جبل رم [٢] حيث ورد بهذا الشـــكل[4].

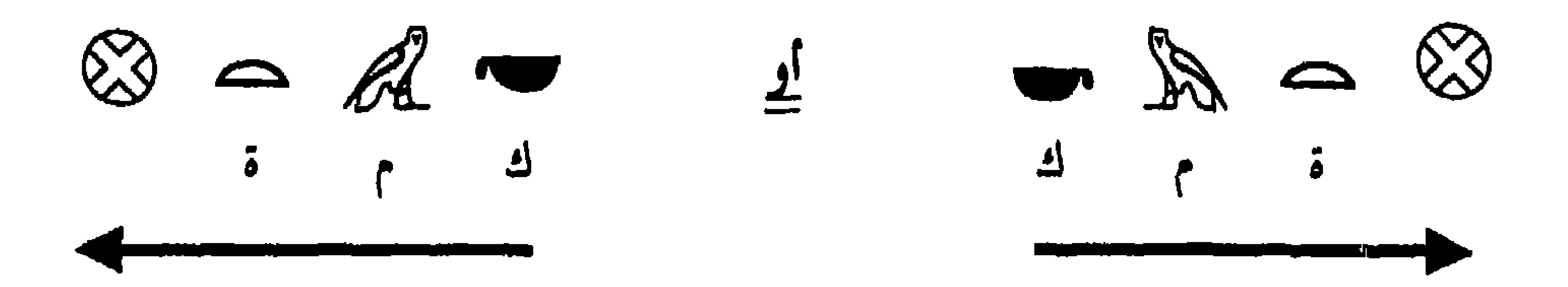
ق د عليّ جيشـه [و] نت هـ بأ رض ت ر ض ل

ك ل ب جيشـو عدا إلى الكمـه سطرو كوم رع رب

النص: قاد عليّ جيشه وانتهى بأرض ترضى لـ كلب، جيشه عدا إلى الكمة [التي تعني في المصرية القديمة (مصر)] سطر[5] كوم (باتجاه الكوم) راع الرب.

نلاحظ هنا أن الكلمة: قاد ( ) كتبت بالحرف المسند إضافة إلى كلمة كوم ( ). وكذلك حرف الضاد في كلمة أرض ( ) وكلمة ترضى ( ) كتبتا بالحرف المسند في حين كتبت كلمة رع ( ) بالهيروغليفي وكُتب باقي النقش بحرف الجزم[6].

لكن الأهم في هذا النقش هو اسم مصر (الكمة) فقد عرفت المصريات القديمة اسم مصر بالـ (كمة):



أما (⊗) فهي إشارة مساعدة وتسمّى مخصّص تدل على أسماء طبيعية وأمكنة مثل البلاد والمدن والقرى[٧].

غير أن ما يلفت النظر أن لفظة [كمة] التي تعني في المصرية القديمة «مصر» قد انتهى استعمالها في القرن الرابع ق.م حين دخول الاسكندر المقدونـي إلى مصر سنة ٣٣٢ ق.م[٨]، وهذا ما يجعلنا نرفع هذا النقش إلى القرن الرابع قبل الميلاد كأدنى حد. ولكن في الوقت نفسه فإن هيرودوت يفيدنا بأن سين حريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م) ملك العرب والآشوريين جهّز جيشاً من العرب لغزو مصر (الكمة)[٩] وهذا يجعلنا نرجح أن هذا النقش يرقى إلى القرن السابع قبل الميلاد[١٠] أي أن بدايات حرف الجزم ترقى إلى ذلك التاريخ لا إلى نقش امرئ القيس ٣٢٩م ذي الكتابة الآرامية (الموصولة المتطورة) وذي أدوات المعنى ونحو الجملة العربية الآرامية (أي نقش امرئ القيـس)[١١].

كذلك كُتبت العربية العدنانية (أي العربية الفصحى) بحرف الجزم أو ما يُسمّى خطأً اليوم بالحرف العربي وهو خطأ شائع[١٢] [إضافة إلى الحرف الآرامي والسريانـي والمسند وخليط (المسند والجزم والهيروغليفي) كما ذكرنا]، هذه أنماط كتابة اللهجة العربية العدنانية.

أما أنماط كتابة اللهجة العربية الآرامية فقد كتبت بأنماط مختلفة أيضاً:

١- **بالحرف الكنعانـي**: مثل نقش السفيرة - الفخيرية - برهدد[١٣].

٢- **الحرف التدمري الآرامي**: كافة النقوش التدمرية[١٤] ولفائف قمران[١٥]. (لفائـف البحر الميت)[١٦].

٣- كما كُتبت العربية الآرامية الشرقية **بالخط المسماري المقطعي** وليس الأبجدي[١٧].

٤- وهل يغيب عنّا أن المصرية كُتبت **بالهيروغليفي والهيراطيقي والديموطيقي**، أم أنه أمر اعتبرناه أساساً ثم غاب عنّا.

هذه أمثلة من العصور القديمة وهناك أمثلة كثيرة لا مجال لذكرها[١٨].

ومن أبرز الأمثلة في التاريخ المعاصر أن التركية عام ١٩٢٩ تركت حرف الجزم (العربي) وأخذت الحرف اللاتيني. السؤال الذي يطرح نفسه، هل اختلاف نمط الخط في التركية أدى إلى اختلاف اللغة؟ بالطبع لا... ولو أنه سيؤدي إلى إخفاء بعض ملامح اللفظ أحياناً كما جرى للّغة العربية في لهجتها الأكادية بفرعيها الآشوري والبابلي حين استعارت الخط المقطعي المسماري السومري لكتابة لغتها، فقد أفقدتها بعض ملامحها ولا سيما غياب المقاطع الحلقية للأصوات الحلقية العربية الأكادية مثل صوت العين وصوت الحاء.

ب- البدهية الثانية

يمكن القول في هذا المجال **إن وحدة نمط الخط لا تدل على وحدة اللغة**، فقد كُتبت بالمسمارية المقطعية، كل من اللهجة العربية الأكادية[١٩] والحورية والعيلامية والحثية رغم عدم وجود رابط لغوي بين بعضها[٢٠]. كما يشابهه في تاريخنا المعاصر أن كثيراً من اللغات تُكتب بالحرف اللاتيني كالتركية وغيرها دون أي رابط لغوي بينها. يشابه ذلك أيضاً أن الفارسية والعثمانية وبعض لغات القارة الهندية تُكتب بحرف الجزم العربي أيضاً.

مما سبق ذكره، واعتماداً على بدهيات معللة، نرى أن دحض ما يقال من أن العربية العدنانية هي خلاف العربية الكنعانية وهذه الأخيرة خلاف العربية الآرامية بسبب اختلاف أنماط كتابتها أمر لا يمكن قبوله لبدهية الموضوع. ومن ذلك تترسّخ القناعة أن هذه المسميات للهجات: من أكادية (بفرعيها البابلي والآشوري) وإبلائية وكنعانية وآرامية وكلدانية ونبطية وعدنانية ومصرية وسريانية وثمودية ولحيانية وصفائية وسبئية (قحطانية) وحبشية وبربرية، **ما هي إلا لغة واحدة، إنما جاءت بأنماط كتابات مختلفة مما سهّل دراستها جميعاً بفكر لغوي واحد**[٢١].

ولا بد لنا من التذكير بأن أنظمة الكتابة منذ فجر التأريخ وحتى اليوم ظلّت عاجزة عن تلبية متطلبات الصوت، وذلك للأسباب التالية:

١- رغم أن الكتابات المسمارية تمثّل الأحرف الصوتية (إلى جانب الساكنة) مثل: (أ- و- ي) إلا أنها اعتمدت على المدرسة الصهيونية العبرية الماسورية في اللفظ، فمن الممكن أن تلفظ الضمة بصوت الواو الممدودة وكذلك الفتحة والكسرة[٢٢].

٢- كذلك جاءت أكثر الكتابات الهجائية، فأكثرها مختزل من كتابة الأحرف الصوتية، فكتابة كلمة (جمال) تكون بأحرفها الثلاثة الساكنة (ج م ل)، وبذلك تكمن صعوبة اللفظ، فيُمكن قراءتها: جَمال وجميل وجمل وجِمال وجامل وجيمل .. الخ.

فمشكلة اللفظ تتجلى بأمرين:

١- غياب اللفظ لغياب الأحرف التي تمثل الصوتيات وهي الألف والواو والياء.

٢- الاعتماد على ٢٢ حرفاً فقط لتمثل ٣٤ صوتاً وهي:

١» الأحرف الساكنة:

ب ج د ذ ه ز ح خ ط ظ ك ل م

٢» الأحرف الساكنة الممثلة بأحرف (نسميها صوتية خطأ) وهي: أ = الهمزة، و= الواو في كلمة (يَوْم)، ى = الياء في كلمة (يَوْم). وجميعها ممّثلة بكلمة (أَيَوْمْ)، وهي ثلاثة أصوات.

٣» الأحرف الصوتية:

١- أصوات المد الطويل: (ا + و + ي) المجموعة في كلمة [بارودي].

٢- أصوات المد الخفيف: الفتحة + الضمة + الكسرة.

فيكون المجموع : ٢٥ + ٣ + ٣ + ٣ = ٣٤ صوتاً .

أولاً: غياب الأحرف الصوتية

إن أكثر النقوش القديمة (عدا المسمارية وشيئاً من الكتابة المقدسة المصرية) رُسمت بأسلوب مختزل من الأحرف الصوتية الألف والواو والياء بالإضافة إلى حركاتها الخفيفة الفتحة والضمة والكسرة (وإمالاتها)، وتُرك تقديرها للقارئ آنذاك، لو كان القارئ معاصراً لِمَا كُتب لاشتركت لديه حواس: السمع بالأذن، والرؤيا بالعين، واللفظ أخيرا باللسان. لذلك وبهذه الحواس كان اللفظ سليماً.

يقول ابن جني [العبرة في إثبات الحرف بالنطق لا بالخط، لوجود اللفظ قبل الخط][٢٣] حيث أن الكتابة ليست من جوهر اللغة، فقد تكلم الناس قبل أن يعرفوا للكتابة طريقاً.

أما المشكلة اليوم فهي أننا نملك الرؤية ولا شيء سواها، لقد فَاْتَنَا السمع وبالتالي فقدنا اللفظ السليم.

وقبل البحث بالوسائل المقترحة للفظ، فلا بد لنا من التذكير بالثوابت التالية:

١- إن أنظمة الكتابة منذ فجر التاريخ حتى اليوم عاجزة عن تلبية متطلبات الصوت (فلا يمكننا تعلم الإنكليزية اعتماداً على الكتاب فقط بدون معلم).

٢- لابد لمتعلم القراءة السليمة من شيخ يُعَلِّمَهُ، وقد وجدنا دائما وعبر التاريخ العربي العدناني هذه الجملة الجميلة: لقد قرأ فلان عن فلان.

٣- إن اختلاف نمط الخط لا يعني اختلاف اللغة، فقد كُتِبَتْ العربية العدنانية (العربية الفصحى) على سبيل المثال:

أ - بالحرف الآرامي المربع : كتب به ورقة بن نوفل[٢٤].

ب- بالحرف المسند : رسالة النبي ﷺ الى أهل اليمين[٢٥].

ج- بالحرف السرياني : وسميت بالكرشونية نسبة الى قريش[٢٦].

د - وكتبت بحرف الجزم : وهو المستعمل حاليا أوما دعي بالحرف العربي مجازا .

هـ- كذلك كتبت بخليط من المسند والجزم والهيروغلفية(الكتابة المصرية المقدسة) نقش رم (٢) بجبل رم شمال خليج العقبة[٢٧].

كما كتبت الآرامية بالحرف الكنعاني وبالخط المسماري و المصري واليوناني والمربع[٢٨]. وبهذا نجد أن اختلاف نمط الخط لا يدل على اختلاف اللغة.

ونورد مثالاً آخر معاصراً، فاللغة التركية تركت حرف الجزم العدناني سنة ١٩٢٩ واستبدلته بالحرف اللاتيني، والسؤال المطروح: هل تَغَيُّر نمط الخط بالتركية أدى إلى اختلاف اللغة؟. بالطبع لا.

٤- الثابت الرابع هو أن وحدة شكل الخط لا تدل على وحدة اللغة، فبالمسمارية كُتبت كل من السومرية والأكادية والحورية والآرامية. ومن التاريخ الحديث نعلم أن الحرف اللاتيني حوى كُلاً من الجرمانيات واللاتينيات.

٥- الثابت الخامس والمهم: نود أن نذكّر بـ عالم الآراميات الفرنسي دوبون سومير حيث يقول في كتابه[الآراميون]: [رغم أن الآرامية تتميز بخصائص كثيرة (مثل أداة التعريف فهي ألف في آخر الكلمة) فإنها قريبة الصلة باللغتين (اللهجتين) الكنعانية والعبرية. وتشترك معهما بمصطلحات إلى حد ما. ولكنها أقرب إلى اللغة العربية (العدنانية)من غيرها ولهما مصطلحات لغوية وألفاظ مشتركة].

أي أن الآرامية قريبة الصلة بالعبرية لكنها وثيقة الصلة بالعربية العدنانية ولها ألفاظ مشتركة معها. لنلاحظ كلمة ألفاظ مادام بحثنا عن اللفظ[٢٩].

٦- الثابت السادس والمهم أيضاً في موضوع اللفظ هو ما جاء في قاموس لسان العرب لابن منظور في مادة (كنع) عن اللهجة الكنعانية:

[كان الكنعانيون يتكلمون بلغة تضارع العربية][٣٠].

وعودٌ على بدء، كيف لنا أن نلفظ هذه النقوش وهذه الكتابات لفظاً هو أقرب للحقيقة ما دامت أكثرها لا تحوي أحرفاً صوتيه؟

الوسائل البادية لنا

لدينا من اللهجات الحية ما يلي:

١-العبرية.

٢-السريانية.

٣-آرامية معلولا وبخعه وجب عدين (وهي خلاف السريانية).

٤-العدنانية.

٥-اللهجات العامية على امتداد الوطن العربي.

٦-الوزن الشعري أو السجع إن وجد كالأمثال.

٧-أسماء المدن والقرى والأماكن القديمة.

ولا أظن أن بعد هذه الوسائل السبع شيئاً يمكن أن يُعْتَدُّ به من ناحية اللفظ الذي يَعتمد على المسموع تحديداً.

١- العبرية

إننا نُفَرِّق بين عبريتين: الأولى هي العبرية الحديثة التي وضعها اليعازر ابن يهوذا بين عامي ١٩١١ -١٩٢٢[٣١]، والثانية هي التوراتية. فالحديثة المحكية في الإذاعات الآن لا يمكن الركون إليها فهي خليط من التوراتية ولغة اليِدِش، والتي هي بدورها خليط من البولونية والألمانية والروسية[٣٢]، وهي حديثة العهد ترقى إلى بداية القرن الثامن عشر[٣٣]، وأن متكلم العبرية الحديثة لا يستطيع فهم التوراة تماماً كالعربي الذي يقرأ الفارسية بأحرفها العربية اليوم.

أما التوراتية القديمة:

١- فنعلم جميعا أنها خليط من اللهجتين الكنعانية والآرامية التي نجدها في سِفِرْ دانيال، وأجزاء من سفر عزرا [٣٤].

٢- لنر ما يقوله الماسوريون بعد تحقيقهم وتشكيلهم للفظ التوراة بأحرفه الصوتية وتنقيطه – (التشكيل) في القرن العاشر الميلادي – جاء في قاموس الكتاب المقدس – ص٧٦٣- مانصه: [وقد دَوَّنَ الماسوريون الاصطلاحات التي ارتأوها على النص وجعلوها في الحاشية، تاركين للعلماء الخيار في قبولها أو رفضهــا بعد البحث والتدقيق][٣٥].

إن لفظ التوراة المحقق الآن يرجع إلى القرن العاشر الميلادي، وهو لا يسمح لنا أن نلفظ الكلمات القديمة التي يَرْجِعْ بعض نقوشها إلى أكثر من أربعة آلاف عام قبل هذا التاريخ. بل على العكس ما دامت العبرية التوراتية القديمة مؤلفة من لهجات أقدم وهي الكنعانية والآرامية، وما دمنا نبحث بالأصل فباستطاعتنا أيضاً تعديل ألفاظ التوراة (شكلاً) دون المساس بأحرفها

الساكنة الأصلية وستُفهم فهماً آخر. وأود أن أذكر الأخوة العرب اليهود[٣٦] بالكارثة التي أتى بها اللاهوتي بوستيل عام ١٥٣٨ في باريس في: [أن العبرية هي ذاك الأصل العتيق مدفوعاً بالمؤثرات الدينية. وأخطر ما ألّفه بوستيل ذاك الكتاب الذي زعم فيه أنه يبحث في الأصول، وفي قِدَمْ اللغة العبرية، والشعب العبراني وفي تفرع سائر اللغات عنها] [٣٧]. وهذا ما دحضته النقوش والكتابات القديمة وإن العبرية القديمة (عبرية التوراة) هي خليط من اللهجات الكنعانية والآرامية كما بينّا.

كانت كارثة بوستيل سنة ١٥٣٨ في تضليل فقهاء اللغة العالميين بالإضافة إلى تضليل اليهود في العالم وخاصة العرب يهوداً ومسيحيين ومسلمين، حيث يَعتبر بوستيل أن العبرية أقدم اللغات والشعب العبري أقدم الشعوب[٣٨].

يقول فردنان دوسوسير رائد فقه اللغة الحديث حاسماً هذا النقاش (أيُّ اللغات أقدم ؟): [إن اللغة الأقدم هي التي تحتوي على كمّ أكبر من المفردات، مع محافظتها على جذرها الثنائي أو الثلاثي].

٢- السريانية

لقد دُوِّنَت السريانية بإشاراتها (تشكيلها) في القرن الثاني أو الثالث الميلادي على أبعد حد[٣٩]، وكَثُرت المداليل (مداليل الكلمات) فيها. فمثلا: كلمة فِينِيقِيُو: تعني متحضّراً. وكلمة طعونُو تعني كيساً (حيث يُطعن الكيس بأداة السبر).

ومع أن مدلول الكلمة ليس موضوع بحثنا الآن إلا أن السريانية حديثة العهد نسبياً في اللفظ إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. ورغم ذلك فإنها تبقى أحياناً وسيلة لجذر معاني الكلمات مثل: ترين في التدمرية وتعني اثنين. ولا ننسَ أن السريانية الشرقية (النسطورية) أبقت إلى حد ما بعض ملامح الآرامية وهي الألف آخر الكلمة. بينما احتفظت السريانية الغربية (اليعقوبية) باللاحقة الواو التي نعتبرها ترخيم التمويم الأكادية الوسيطة وليست إبدالاً لصوت الألف.

٣- آرامية معلولا وبخعة وجبعدين (جب عدين)

المشكلة الكبيرة بهذه اللهجة أنها غير مكتوبة لكننا نركن إلى لهجة بخعة وجب عدين أكثر من معلولا إلى حدٍّ ما، وذلك لأن الأوَّلَيْن نائيتين عن الدخيل لِمَا للأخيرة (أي معلولا) من اتصال دائم مع الغرباء والسياح لقدسيتها. هذا إذا علمنا أن فقهاء العدنانية لم يأخذوا عن أهل مدينة الطائف خوفاً من الدخيل[٤٠].

٤- اللهجة العدنانية

كذلك فإن العدنانية نُقِّطَتْ وشُكِّلَتْ في القرنين السابع والثامن الميلاديين أي بعد السريانية وقبل العبرية. لكننا نحترم أولئك الذين حافظوا عليها من الدخيل، فلم يأخذوا إلا من منطقة محدودة جغرافياً: الخط الشمالي من شط العرب (شمال الخليج) وحتى خليج العقبة، والخط الجنوبي جنوبي مكة بمسافة لا تتجاوز المائة كم. حتى أنهم كما ذكرنا لم يأخذوا من أهل الطائف التي لا تبعد عن مكة أكثر من ٤٠ كم[٤١]. لقد حرمونا كثيراً من الكلمات خارج هذا النطاق شمالاً وجنوباً، سواءً من ناحية بلاد الشام أو العراق وكذلك مصر وشمال إفريقيا وحتى اليمن. ومع ذلك أعطونا هذا الكمّ الهائل من الكلمات التي حافظت على جذورها الثنائية والثلاثية.

ومع ذلك فلن نأخذها أساساً (أي العدنانية) في اللفظ حتى لا نُتَّهم بالشوفانية، رغم رأي دوبون سومير عالم الآراميات حيث يرى أن للعدنانية والآرامية مصطلحات لغوية وألفاظاً مشتركة، وأن الآرامية هي أقرب للعدنانية منها للعبرية.

ومهما تجاهلنا العدنانية من ناحية اللفظ (بالرغم من تأكيد دوبون سومير عليها)، فإننا لا نستطيع تجاهلها من حيث معاني الكلمات التي حَوَتْهَا معاجمها ولا سيما معجم لسان العرب لابن منظور.

٥- اللهجات على امتداد الوطن العربي

نستطيع الاعتماد عليها من حيث المعاني للكلمات واللفظ إلى درجة معقولة فلهجاتنا العربيات العاميات هي بقايا الأكادية والعمورية / الكنعانية والآرامية وخلافها وليست تطوراً للعدنانية فقط كما كان يُدَّعَى، ومع ذلك فقد تطوّرت هذه العاميات أيضاً على مَرّ السنين.

٦- الوزن الشعري أو السجع إن وجد

نذكر من ذلك ما جاء في الأمثال الأجاريتية ما نصّه:

إم يصدق بيرشيني   تَمّ : أني ويّا عقشيني

ونذكر المثل العامي المتواتر إلى الآن:

دن دن يا دنّه   كل مين ياخذ من دنّه

سنأتي إلى تفصيل ذلك فيما بعد.

٧- أسماء المدن والقرى والأنهار والأماكن

ففي بلاد الشام آلاف الأسماء للمدن والقرى والأنهار والجبال والبقاع والأماكن. في (سورية) [سايكس بيكو] فقط عشرة آلاف اسم لمدن وقرى ومزارع[٤٢] عدا الجبال والأنهار، منها ٥٠ ٪ تقريباً أسماء قديمة جرى التواتر على لفظها منذ بداية العصر التاريخي جيلاً بعد جيل على مر السنين والأيام.

فكلمة دمشق مثلاً سُمّيت بـ دِمَشْقْ منذ نشوئها و لم تكن في يوم من الأيام دماسك أو دمسك أو خلاف ذلك بل هي دِمَشْقْ، وهكذا اسم قاسيون وقلمون وكفرون وحرمون وتدمر ودَمَرْ ودامور وذْمِيرَهْ وبيروت ومصر وعرب صاليم ومكّا وحرستا وقرحتا وبردى ويبرود وجيرود ومزة وأرزة وبرزة وراقودا وقرنة وكفر بطما والكفر، ويعفور وصيرا وصبّورة وشقوقا. فهو تواتر دائم يمكن أن نركن إليه ونحترمه.

وبهذا، وفيما إذا وصلنا إلى معاني هذه الكلمات فيمكننا أن نؤلف معجماً عمورياً كنعانياً آرامياً ممتازاً.

وسيلة اللفظ

اللفظ السليم لا بد من قراءته على معلم لتشترك ثلاث حواس مع بعضها: سماعاً بالأذن، ونظراً بالعين، ونطقاً باللسان. وكما قلنا ولتصحيح عمليات النطق واللفظ للوصول إلى طريقة تتصف بالعملية المنهجية قدر الإمكان، فيجب أن نتبع ما تيسر لنا من الآثار اللغوية التالية:

١- أسماء المدن والقرى والأماكن الجغرافية.

٢- الوزن الشعري أو السجع إن وجد.

٣- اللهجات العامية وبتحفظ كبير.

التفصيل

وسيلة اللفظ الأولى

فبأسماء المدن والقرى والأماكن الجغرافية على امتداد الوطن العربي وفي جغرافية [إمبراطورية اللهجة الآرامية] الممتدة من السند إلى الأطلسي شرقاً وغرباً، ومن طروادة وحتى أسوان شمالاً وجنوباً، نستطيع الحصول على لفظ سليم بهذه اللهجات بشرط أن نعرف معاني هذه الأسماء الجغرافية.

لقد ثبت لدينا، في الخبرة لا الخبر، أن أسماء هذه المدن والقرى والأماكن تحمل دلالات ثلاث لا رابع لها:

١- **أسماء ذات دلالات طبيعية مثل:** قاسيون - ميسلون - قلمون - كفرون - حَرَمُون - وجسرين - بردى - يبرود - جيرود - صوبا - شقوقا - دمشق.

٢- **أسماء ذات دلالات عسكرية مثل:** حرستا - قرحتا - بَقّرْحَا - ماري - تدمر - دُمَّرَ - دامور - دميره.

٣- **أسماء ذات دلالات دينية مثل:** بابل - ببيلا - سرجلاّ - بَلّيْرَمُون - قدسيّا - هابيلا.

المنهــــج

قبل البدء بتجريب تفسير هذه الأسماء، لابد من الإشارة إلى قانون علمي هام للمنهج التجريبي.

يقول ابن حزم:

« والتجارب لا تكون إلا بتكرير الحال مراراً كثيرةً جداً على صفةٍ واحدةٍ لا تستحيل أبداً، تكريراً موثوقاً بدوامه تضطر النفوس إلى الإقرار به ».

ويقول ابن البيطار الصيدلي المالقي:

« فما صح عندي بالمشاهدة و النظر، و ثبت لي بالخبرة لا الخبر، ادخرته كنزا سريا وعددت نفسي عن الإستعانة بغيري فيه سوي الله غنيا (أي أنه بهذه الحالة لن يستعين بأحد سوى الله)، وما كان مخالفا في القوى البيئية، و المشاهدة الحسية، في المنفعة و الماهية للصواب و التحقيق، وأن ناقله أو قائله عدل فيه عن سواء الطريق، نبذته ظهريا و هجرته مليا وقلت لناقله أو قائله لقد جئت شيئا فريا »[٤٣].

وهنا لابد من التذكير بالقواعد التالية:

١-إن جذر الكلمة يجب أن يكون ثنائيا أو ثلاثيا، وإن كان رباعيا أو خماسيا فالكلمة مركبة، قد ننجح بمعرفتها أو لا ننجح.

٢-من أشهر اللوحات الكنعانية الواو والنون مثل: صيد= صيدون، خالد= خلدون، قاسي=قاسيون، حرم= حرمون.

٣-من أشهر اللوحات الآرامية أداة التعريف الألف لآخر الكلمة مثل: البرد= بردا (بردى)، الحارسة=حرستا، الشقوق= شقوقا.

٤-اللاحقة الآرامية (ين) أداة جمع في حالة النكرة مثل: شمسين - جملين - جسرين -ماردين.

٥-اللاحقة الآرامية (يا) أداة جمع في حالة التعريف حيث الألف تأكل النون و تخفيها مثل:
قدسي= قدسين، جمع تعريفها قدسياأي القدسيين و ليس قدسينا:
حصب ← حاصبين ← حاصبيا
راش ← راشين ← راشيا
ونستطيع أن نقول: سور ← سورين ← سوريا(٤٤).
٦-السوابق: (ذا -ذو -ذي)

التفسير

الأسماء ذات الدلالات الطبيعية:

- **قاسيون:** قاسي + ون = قاسيون، وهو بالفعل جبل قاس ليس فيه نبع أو عين ماء، وكما نعلم بأن الجبال هي خزانات مياه، وقاسيون هو جبل دمشق. أي أن لاسم قاسيون مدلولاً طبيعياً.

- **ميسلون:** بدون (ون) تكون ميسل وهي تصغير مسيل وهي منطقة دائمة السيلان بالمياه (٣٠كم غرب دمشق)، وبهذا المسيل وروابيه جرت معركة ميسلون الشهيرة. أي للاسم مدلول طبيعي.

- **قلمون:** قلم + ون = قلمون، هي ثلاثة أقلام من الجبال تتجه شمالاً جنوباً، وفي القلم الغربي منها قرى معلولا وبخعه وجبعدين (جب عدين).

وكلمة قلم ليست يونانية كما كان يُظَنّ بل وردت في قاموس AKKADIAN DICTIONARY بمعنى أداة للنقش، وتعني عملية تقليم الأشجار أيضاً. إذن الاسم ذو مدلول طبيعي.

- **كفرون:** كفر + ون = كفرون، كَفَرَ في اللغة تعني غطّى، ولها مدلول ديني بمعنى غطّى الحقيقة. والكَفْرْ هو المنطقة الجرداء التي زُرِعَت فَغُطّيَت بالأشجار، أو حُرِثت فبُذرت فغُطِّيت، ومنها الكُفّار بمعنى الزرّاع، جاء في القرآن الكريم سورة الحديد [٢٠] (٤٦): ﴿كمثلِ غيثٍ أعجبَ الكفّارَ نباتُه﴾ (أي مطر يعجب الزُرّاع نباته). أيضاً جاء في سورة آل عمران [١٩٣] (٤٧): ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكَفِّر عنا سيئاتنا﴾ (أي غطِّ عنا سيئاتنا).

وإن انتشرت الأسماء والكفور في مصر فلا ننسَ إمبراطورية اللهجة العربية الآرامية في القرن السادس ق.م على أدنى حد والتأثير العموري الـ هيك سوسي في القرن ١٨ق.م. وفي عملية اللفظ في كفر فلدينا الألفاظ التالية: كَفْرْ العواميد - كْفِير الزيت - كَفَرْ بطنا (بطما)، وجميعها قرى حول دمشق، والكفرة في ليبيا. أي أسماء كفر وكفرون ذات مداليل طبيعية أيضاً.

- **جسرين:** اسم قرية بغوطة دمشق جذرها جسر والياء والنون صيغة جمع النكرة في الآرامية فيصبح معناها جسور. وفعلاً نجد في هذه القرية خمسة جسور لنهر بردى وأفرعه وهي من الجنوب إلى الشمال: جسر بردى – جسر الملك – جسر الزابون – جسر جعيطة – جسر الداعياني.

- **بردا (بردى):** وهو نهر دمشق الشهير، الألف أداة التعريف الآرامية فيصبح معناه البرد من البرودة. وهو مدلول طبيعي.

- **يبرود:** جذرها بَرَدَ، اسم بصيغة الفعل مصغر، وهي قرية بجبال القلمون الغربية باردة الطقس ذات مدلول مناخي طبيعي.

- **جيرود:** قرية تبعد عن يبرود حوالي ٣٠كم تقع في بادية الشام، أراضيها ذات طبيعة جرداء من الناحية الزراعية، وهي ذات مدلول طبيعي. وكم من المفيد أن نلاحظ الجناس بين يبرود وجيرود، تماماً كما في مزّة وبرزة قرى حول دمشق، وسيحان وجيحان نهران شمال سوريا الطبيعية (جنوب تركيا الآن).

- **صوبا:** ذات مدلول طبيعي أيضاً، سُمّيت بهذا الاسم منطقتان. الأولى غرب دمشق من هابيلا (سوق وادي بردى) وحتى سهل البقاع، ويقال أن مكان عاصمتها هي عنجر اللبنانية، جذرها (صَبَّ) والألف أداة تعريف وهي منطقة ذات خطوط مطرية تصل حتى ٨٠٠ مم في السنة (علماً أن دمشق مطرياً تصل إلى ٢٥٠مم). والثانية منطقة صوبا غرب حمص، والسوريون يعرفون كمية هطول الأمطار في المنطقة ما بين تل كلخ وصافيتا وطرطوس، فيصبح معناها: الصوب / صوب / صيب/ من فعل صَبَّ (أي سكب)صبّ الماء سكب الماء في الكأس جاء في القرآن الكريم:﴿ أو كَصَيِّبٍ من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾ أي مطر غزير من السماء . منطقتان مشهورتان بكميات أمطارهما وتعتبران من المناطق الأكثر هطولاً في كافة أنحاء سورية. ومثيل هذا الإبدال نجده في: وهب = يهب، وتر = يتر، حيوات = حيات.

- **شقوقا:** منطقة في صوبا بأراضي ميسلون ومعناها الشقوق، إن ميكانيكية التربة في تلك المنطقة مختلفة كما أنها ذات انفلاقات جيولوجية كبيرة. وعلى سبيل المثال فإنك تجد بئرين الأول: في قمة الجبل ١٢٦٣ متراً عن سطح البحر، ومستوى مياهه عن السطح الطبيعي لا تتجاوز ٥٠ متراً، وتبتعد عن مكان البئر لمنطقة منخفضة عن الأول وتبعد ١٠٠ متر عنه و مستوى المياه الجوفية تبلغها على عمق ١٣٠ متراً. فهي ذات مدلول جيولوجي طبيعي. (راجع الخريطة الجيولوجية للمنطقة).

- **دمشق:** جذرها رباعي [د م ش ق]. إذن هي كلمة مركبة فإذا حذفنا السابقة (دِ) من (ذا وذو وذي / ودَ ودُ ودِ) نحصل على جذر الكلمة مشق. نبحث بمعنى (مَشَقَ) فنجده يحمل معنى أنتج / نما / أخصب، فهي أرض النمو والخصب والإنتاج، و(دِ) واضحة المعنى (ذي)، مشق

مستعملة في العامية الزراعية بدمشق فتقول النسوة مَشَقْتُ أغصان الملوخية أي أنتحت ما في الغصن من أوراق. ومع ذلك، هذا لا يكفي فلدينا الآن دليل لغوي واحد فقط، لكن إذا نظرنا إلى مياه دمشق الجوفية من خانق الربوة وحتى المصب في بحيرة العتيبة نجدها بين ثمانية أمتار وثمانية عشر متراً فقط.

كذلك نجد أن في [السابقة الدال (دِ)] في كل من الأسماء التالية: دِمشق – دِمياط – دِسوق (وليس دُسوق) هكذا يلفظها أهلها – دِمشقين وهي قرية جانب الفيوم يصـــفها ياقوت الحـــموي[48] أن فيها بصلاً كالبطيخ (من خصوبة الأرض) [49] – دِمقش[50] في دلتا النيل وهي قلب مكاني لدمشق– و (دِ روما) و (دِ جرجا) [انظر ياقوت الحموي (الأولى ص٢١٥) و(الثانية ص٣١٨)].

سبع بدايات توافر فيها التكرار لهذه السابقة (دِ)، أما اسم مَشَقَ[51] كما ذكرنا فإننا نجده أيضاً في كلٍّ من: دمشق – دمشقين (وهي صيغة جمع آرامية لدمشق) – ودمقش (مقش كما قلنا قلب مكاني لـــ مشق). وأخيراً هناك قرية في محافظة اللاذقية ذات خصب ونمو وإنتاج اسمها مشقيتا جذرها أيضاً (مَشَقَ) ومعناها المشقية تصغير مشقة (مشقة+ يت + ا = مشقيتا)، وهناك شجر يسمى جَرْمَشْقْ وهو شجر ينتج من مائة السكر[52].

وهنا حسب المنهج التجريبي نجد التكرار في جذر مشق خمس مرات أيضاً. فاسم دمشق ذو مدلول طبيعي أيضاً.

ولنأتِ الآن إلى الأسماء ذات الدلالات العسكرية

حرستا: جذرها حرس والتاء للتأنيث والألف أداة تعريف آرامية. إذن معناها الحارسة. وهي عبارة عن نقطة مراقبة أوّلية لمدينة دمشق من الجهة الشرقية الشمالية يقول محمود محفوض في تاريخ حرستا أن حرستا لم تنجُ يوماً من الحروب[53] حيث أنها على الطريق الشمالية الشرقية وهي ذات ممر إجباري استراتيجي. وحرستا المنظرة أي للمراقبة بدأت فيها حروب احتلال دمشق أكثر من مرة. وهناك حرستا أخرى من قرى حلب فيها حصن عظيم ومياه غزيرة[54]. فاسم حرستا ذو مدلول عسكري.

قَرَحْتَا: بمعنى القرحة، الذبحة. ذات مدلول عسكري.

بَقَرْحَا: بمعنى بيت القرح أي بيت الذبح. وهي قرية من قرى محافظة إدلب شمال سورية في جبل باريشا، وهي مبنية داخل أضراس صخرية ترتفع بين ٣٠-٧٠سم، وهي موانع عسكرية طبيعية ضد الأفراد والفرسان.

ماري: جذرها (مَرْ) ومعنى المُرُّ القوة، جاء في القرآن الكريم: [ذو مِرَّةٍ فاستوى][55] أي ذو قوة فاستوى، ومعنى ماري هنا بمعنى القوي - الماري. وقد سمي المرُّ مرّاً لقوة طعمه، وسمّي الممرُّ ممراً للقوة التي عَمِلَتْ به ليصبح ممراً، وسمّي السيد بالسريانية مار لأن من صفات السيد القوة. أي الماري بمعنى القوي اسم ذو مدلول عسكري. والجدير بالذكر أن في الإمارات العربية اليوم بلداً اسمها ماري.

تدمر: جذرها دَمَرَ. ومعنى دَمَرَ في لسان العرب دَمَّر حيث التشديد (التكرار) يفيد التأكيد. وقلنا أن العربيات عرفت الأسماء بصيغة الفعل: فأقول زاد تزيد .. الخ، وهنا دَمَرَ يَدْمُرُ تَدْمُرُ فهي المدينة التي تُدَمِّر. لم لا، حيث لا يصلها لوعورة طرقها وانقطاع الماء بطرقها الشرقية والشمالية والغربية والجنوبية إلى جانب طول المسافة لأقرب مدينة منها ينوف عن الـــ ٢٠٠كم فهي المدينة التي تُدَمِّر عدوها قبل وصوله، وقد بقيت عاصمة البادية بعد دمار (إبلا) لفترة طويلة.

دَمَرْ[56]**:** الاسم القديم لمدينة دورا أوروبوس. وقد اعتبر البعض أن اسم دمر فيه إبدال بين الواو والميم حيث اسمها السابق دور فأصبح دمر ولا أظن ذلك حيث لم أجد مثيل هذا الإبدال في العربيات من الأكادية وحتى السبئية.

دُمَّر: تقع غرب دمشق في خانق جبلي يقطعها نهر بردى، وهي مركز استراتيجي عسكري دفاعي هام لدمشق، وهي الممر الإجباري لدمشق غرباً لعشرين سنة خلت. جذرها دَمَرَ أيضاً وتحمل معنى التدمير. وهي ذات مدلول عسكري.

دامور: جذرها دَمَرَ، وهي على وزن فاعول وفاروق وحاسوب وطاروق (مدلول لساقيه الماء) وناقور[57]. تقع في لبنان على الساحل الكنعاني. زرتها سابقاً لكنني لا أتذكر موقعها تفصيلاً وأظن أنها الآن موقع حصين لقوات الجبهة الشعبية الفلسطينية ومنطقة الناعمة تابعة لها.

أما الأسماء ذات الدلالات الدينية فهي معروفة لدى الكثيرين و لا بد من التذكير بها:

بابل: كلمة مركّبة من باب بالإضافة إلى ئيل (رب الأرباب)، فهي تعني باب الله. (ئيل) في القواميس العدنانية هو الله.

بَبِّيْلا: كلمة مركبة من باب بالإضافة إلى الله، فبالإدغام أصبحت بَبِّيْلا، وهي قرية جنوب دمشق. وفي عاميتنا نقول بابَلاّ.

سرجلاّ: قرية في محافظة إدلب، مركبة من سراج بالإضافة إلى الله، فهي سراج الله[58]. وهي ذات مدلول ديني.

بَلْيَرْمُون: جذرها [ب ل ر م ن] خماسي، إذن هي مركّبة. يذهب الأستاذ الدكتور محمد محفّل ليفكّ هذا التركيب فيجد أنها مؤلّفة من: [بـــ / ئيل / رم / ون]، أربع مقاطع. فالباء

ترخيم بيت كما في بْقرحا، و(ئيل) هو الله، و(رم) بمعنى العالي، و(ون) لاحقة كنعانية. فيصبح المعنى (بيت الله العالي) [بـ ئيل رمون]، ثم أصبحت بالإدغام (بلّيرمّون). وهي منطقة من مناطق حلب.

لقد رفضت المدرسة التوراتية تفسير أسماء العلم لخطورتها على لسان (بُوْل). يقول درايفر في مقدمة قاموس(HEBREW AND ENGLISH LEXICON OF THE OLD TESTAMENT) الذي أشرنا إليه سابقاً، قاموس جيزنيوس: [ولأسباب مماثلة لم يرغبوا في اتباع طريقة بُوْل (BUHL) بالنسبة لاستبعاد وحذف تفاسير أسماء العلم رغم خطورة مثل هذه التفاسير][٥٩]. أي أن بُوْل نصح في استبعاد تفاسير أسماء العلم كأسماء المدن والقرى لكن مجموعة درايفر لم ترغب في ذلك بالرغم من خطورة مثل هذه التفاسير. ومع ذلك لم نجد شيئا على الساحة اللغوية الجغرافية حتى الآن على ما نعلم. هناك البعض لكنه واهٍ.

نعم هناك خطورة لدى التوراتيين في تفاسير الأسماء لأن قواميسهم وألفاظهم لا تُلبّي الحاجة ولأنهم بحاجة إلى استعمال القواميس العدنانية والتي تَكْمُن فيها الخطورة والاعتراف بالعدنانية.

إن ٩٥٪ من تفاسيرنا لأسماء القرى والأماكن العمورية الكنعانية الآرامية التي أتينا إليها كان من المعاجم العدنانية ولا سيما قاموس لسان العرب لابن منظور بالرغم من رجوعنا إلى كافة المعاجم الأخرى من عبرية وسريانية ويونانية.

وعودٌ على بدء مرة أخرى، فالأسماء الأنانية للمدن لم تعرفها العربيات، لهجات المنطقة كـ بحيرة فكتوريا والأحمدية مثلاً، إنما وُجدت مع بدايات الفتح المقدوني وسياسة تغيير الأسماء، فأُبْدِلَت إنطاكية بـ دفنا (الباء تدخل على المتروك)، واللاذقية بـ راميتا، وطرطوس بـ قرنا، والإسكندرية بـ راقودا، وبروا بـ حلب، وابيفانيا بـ حماة، وفيلادلفيا بـ عمّان، وبالميرا بـ تدمر، ودماسكوس بدمشق، وهكذا[٦٠].

أما عند الفتح العربي العدناني الإسلامي فقد أعاد أهالي البلاد (وليس العرب العدنانيون) أسماء هذه المدن إلى سابق تسميتها بعد استعمار دام زهاء الألف عام.

وفي ختام بحث أسماء المدن والقرى وتطبيقاً للمنهج التحريبي ولزيادة الحيطة، فلا بد لتحقيق هذه الأسماء بمعانيها وألفاظها من شرطين:

١- الزيارة الميدانية لهذه الأماكن والتأكد من المعنى إن كان طبيعياً، أم عسكرياً، أم دينياً.

٢- ومن شروط معنى الكلمة وتحديدها، أنها إذا وُضعت في الجملة فيجب أن تُعطي اتّساقاً في النص والجملة، لتعطي جملة مفيدة.

وكي تؤدي الجملة تفسير أسماء هذه المدن فينبغي أن تتّسق وتنسّق ضمن قانون أسماء المدن والأماكن،

طبيعياً أو عسكرياً أو دينياً بمدلولاتها الثلاثة. وإن خرجت عن هذه المداليل الثلاثة فالتفسير يكون مرفوضاً.

وسيلة اللفظ الثانية

إن الوزن الشعري كثيراً ما يساعد على تسكين ما كنّا نظنه متحركاً، أو تحريك ما كنّا نظنه ساكناً، وتشديد (تكرير) ما كنّا نعتبره عادياً، أو مدّ ما كنّا نعتبره حركة بسيطة، أو العكس.

لقد ورد في تراث الأمثال الأجاريتية:

im ’eṣdāq pi yarš’ni

täm ’äni wayya ʿqšeni

إم ي ص د ق ب ي ا ر ش ي إ ن ي

ت ا م أ ن ي و ا ي ي ا ع ق ش ي ن ي

نقرأها: إم يصدق بيرشيئني تم إنــي ويا عقشيني [عقش تعني جمع]

اللفظ هنا لا يستقيم شعرياً في كل من (بيرشيئني)، وفي (أنــي) بل يجب أن تُدغم همزة يرشيئني لتصبح يرشيني مثل عقشيني، و[أنــي] يجب أن تُشدّد بها النون لتصبح أنّي. وبذلك يستقيم اللفظ:

إم يصدق بيرشيني تم أنّي وَيّاعقشيني.

وفعل [تمّ] في المصريات هو فعل إثبات يراد به النفي (فعل استهزاء) (تريأه)، وبذلك يصبح المعنى إم بمعنى إن.

إن يصدق بيرشيني تمام (تم) أني وإياه اجمعني (لإحراجه).

مثال آخر في لفظ السجع لكنه متوارث سمعاً ونظراً ولفظاً عن السبئية نجده في الحديث الشريف التالي، سمعته أنا من الشيخ أحمد كفتارو مفتي سوريا[٦١]. أي أن اللفظ وصلني سماعاً وليس قراءة فقط.

جاء رجل من اليمن وسأل النبي ﷺ قال:

هم منم برم صيامن فيم سفر

فأجابه النبي ﷺ بنفس لهجته: ليس منم برم صيامن فيم سفر

أي: هل من البرّ صيام في السفر

كان الجواب: ليس من البرّ صيام في السفر.

جاء في كتاب مختارات من النقوش السبئية لبافقيه وزملائه أن أداة التعريف في السبئية هي النون كلاحقة، وأن أداة التنكير هي الميم كلاحقة أيضاً. **ونحن نشك في ذلك، بل نرفضه.**

لنرجع إلى النص ويتبين أن الميم وُصِلَتْ في نهايات الكلمات كلواحق، **إنما في واقع اللفظ هي سوابق للكلمات** التي تليها فتصبح كتابتها:

هم   من   مبر   مصيامن   في   مسفر

ليس   من   مبر   مصيامن   في   مسفر

يقابلها اللفظ بالعدنانية:

هل من   لبرّ   لصيامن   في   لسفر (اللام / في السفر/ شمسية لا تقرأ)

ليس   من   لبرّ   لصيامن   في   لسفر (اللام شمسية لا تقرأ)

هذا فعلاً ما ننطقه بحالة الوصل أثناء التعريف بالعدنانية.

نحن نقرأ: (قرأت في لكتاب) لكن نكتبها حسب (اصطلاحنا) العدناني الإملائي (في الكتاب). إننا لا نلفظ الألف والتي هي في المدرسة البصرية (الـــ): الألف للتنبيه، واللام للتعريف.

إذن نلاحظ نقض نظرية بافقيه (إلا إن كانت موجودة في اليمنيّات الأقدم كالأوسانية والقتبانية). وما يؤيد ما ذهبنا إليه أن الميم هي سابقة للتعريف وليست لاحقة، هو ما جاء في آرامية معلولا حيث نقول:

زنبل خلبا   أو   زنب لخلبا

بمعنى ذنب الكلب وتلفظ بدون ألف ذنب لكلب.

وإذا أسقطنا السبئية عليها تصبح:

زنبم خلبا   أو   زنب مخلبا[٦٢]

نستنتج من ذلك أن سلامة اللفظ التي وصلتنا نستطيع بها أن نفسر أشياء كثيرة، لكن بدون سماعها ولفظها يغيب عنّا الكثير في فقه اللغة.

وما نريد من هذا المثال أيضاً أن قراءتنا وقراءات المستشرقين للنصوص لا تستوفي ما كان عليه السلف أصحاب الأكادية والكنعانية والعمورية والآرامية والمصرية والسبئية وبالتالي غاب عنّا لفظها حيث فقدنا السمع.

وسيلة اللفظ الثالثة

اللهجات العامية على امتداد الوطن العربي، ففي هذه اللهجات وهذه الطريقة يجب التحفظ بصورة كبيرة:

لقد ورد في المثل العامي ما نصه:

دِنّ دِنْ يا دِنّهْ   كلْ مين ياخُذْ مِنْ دِنّهْ

إن أكثر معنى شائع لكلمة (دِنُّه) في العربيات مثل الآرامية والنبطية هو (الذي) أو (ذا إنه). لكن من سياق هذا المثل نجد أن (دِنُّه) الأخيرة تعني مثيله، وهنا نرى أن جذر (دِنُّه) هو (دِنّ)، و(دِنّ) هي قلب مكاني لكلمة (نِدّ) التي تعني مثيل، لذا أصبح عندنا معنى آخر لـ (دِنُّه) والتي وردت في الكتابات القديمة (زِنُّه) بمعنى (زا إنه). و(دِنُّه) بمعنى (دَ إنّه) بالنبطي وتعني (ذا إِنّه)، أما (دِنُّه) الأخيرة فهي من (نِدّهُ) مثيله فتصبح بالقلب (دِنُّه). هذا المعنى الجديد واللفظ الذي حصلنا عليه من العامية ساعدنا في قراءة التعرفة الجمركية التدمرية، فقد جاء ما نصه:

ي ف ر ع   ل ك ل   م د ا   م ن   ن م و س ا   د ن هـ   <u>سطر ٧١</u>

يفرع	لكل	مدا	من	ناموسا	دنه
يفرع	لكل	مدا	من	الناموس	مثله

ومثال آخر:

ل ك ل   م ي ا   د ن هـ   سطر ٨٤

لكـــل	ميـــا	دنــــه
لكـــل	مئــــة	مثيلـــه

ومن الأمثلة الأخرى: نقول في اللهجة العربية العامية الحلبية [أنا، كُه]، كُتبت في الكتابات القديمة (أ ن ك) ولفظوها (أناكو) بمعنى أنا، لكن تواتر اللفظ وسماعه فَسَّرَ لنا معناها وصحة لفظها فهي في اللفظ (أنا – كُهْ) وليس أناكو.

ومن تراثنا الغنائي العامي نجد أغنية: **عـــل يادي الـــ يادي الـــ يادي**

منها نقول في إبدال الواو ياءً: يهب بمعنى وهب ، يتر بمعنى وتر، ياقوصة بـــ واقوصة.

وكذلك يادي بمعنى وادي وهي أغنية من أقدم الأغاني إذا ما عَرَفْنَا أن مملكة يادي الآرامية التي عاصمتها شمأل تقع فيما يسمى اليوم لواء إسكندرون، وفيها الوادي اللاخ، الوادي العميق، أي وادي العمق.

بهذا نكون قد حدّدنا لفظ يادي من التراث الغنائي والمصنّف تحت اسم اللهجات العربيات العاميات.

بالإضافة إلى اكتشاف أقدم أغنية تاريخية عرفناها حية الاستعمال إلى الآن (كأغنية محمد عبد الوهاب ياجارة الوادي) حيث يكون اللفظ يادي وليس ياؤودي والعبرة في إثبات الحرف بالنطق لا بالخط كما يقول ابن جني[٦٣].

كذلك من لهجاتنا العامية كلمة (هيك) بمعنى (هكذا) في بلاد الشام. و(هاك) بمعنى (هكذا) في اللهجة العربية البربرية الشلحية في المغرب العربي.

فقد جاء في نقش البرازيل ١٢٥ ق.م ما يلي:

هـ	ح ن ا	ب ن	ك ن ع ن	م	ف ر ن م
هـا	حنـا	بنـي	كنعـان	م	فرنـم

ح ق ر ه	ح م ل	أ ش	ح ر	ح ص ل	هـ ك
حق قاريه	حمـل	أيش	حـر	حصـل	هـاك
					هيك

اللسان لابن منظور: ١٥/١٧٨ (مادة قرا): [أهل القاريه للحاضره، وأهل البادية لأهل البدو]، (وجاءني كل قارٍ وبادٍ) أي كل متحضر وبدوي.

قاريه: حضارة (مدلول) من قريت أو قرتا بمعنى المدينة.

فيصبح المعنى: [هانحن بني كنعان من مدينة فرنيم حملنا الحضارة، أليس حرام أن يحصل بنا هكذا].

والأمر الأدهى ما نقابله في مدرسة الكتابات المصرية القديمة، لقد ذهبت مدارس الاستشراق اللغوية للمصريات باستعمال عمليات الكسر (الخفض) لأغلب الأحرف الساكنة، متّبعين في ذلك المذهب السنسكريتي اللغوي (حيث السنسكريتية من اللغات الهندو - أوروبية) فمثلاً كلمة [وَبَان] بمعنى أشرق لفظوها [وِبِنْ] ولو فرضنا أن كلمة [مَرْوان] مدوّنة في الهيروغليفية

[𐎗𐎐][64] بدون أحرف صوتية (م ر ن) فسيلفظونها حسب المدرسة السنسكريتية (مِرِنْ) بدل مروان فذهب اللفظ والمعنى[65].

ونافلة القول ما قرأه أحد المستشرقين الفرنسيين بحلب ١٩٩٢ بمدرج جامعة حلب لكلمة [خبط وم] فقد قرأها [خباتوم]. ماذا نفهم من هذا اللفظ وهذا النطق، قطعاً لا شيء، إلا أن حِسّ المؤتمرين العرب في الندوة جعل أكثرهم ينادون أن [خباتوم] هي [خبط]، أي خبطوم بمعنى الضرب وهي كلمة تحمل معنى العنف والقوة والضرب، وهي موجودة لدى ابن منظور: [خبط - يخبط — خبطاً]، أي [ضرب - يضرب - ضرباً شديداً][66]. وهي فصيحة لكنها من الكلمات ميتة الاستعمال في العدنانية (الفصحى). وظنّنا جميعنا في حينها أنها من العاميات المتوارثة التواتر. وما يجعل تفسير كلمة خبط (وم) أنها تحمل معنى القوة والعنف والضرب أنها كانت مسمّى لفئة مقاتلة مرتزقة في منطقة الخابور، ونرجّح أنهم هم (الخابيرو).

ثانياً: مشكلة الاعتماد على ٢٢ حرفا لتمثل ٣٤ صوتاً

في هذه الحالة يغيب عنا شكل سبعة أصوات موجودة بالألف باء العدنانية[67]، ويغيب عنّا اثنا عشر صوتاً موجودة بالعربيات (راجع الصفحة الثانية من بداية هذا الفصل ص٢٩٢)، ومن المرجح أن هذه الأصوات مُمَثّلة بأحد الأحرف السابقة. وبذلك يُمَثّل بعض أشكال الأحرف الاثنين والعشرين صوتين أو ثلاثة أصوات، كما هو جليّ لدينا في حرف الجزم (بشكل حرف الحاء) فهو الذي يُمَثّل (ح، ج، خ) وكذلك الدال والراء في الآرامية التدمرية.

والدليل الثاني على وجود أكثر من اثنين وعشرين صوتاً، ما ورد في الأبجدية المسمارية الأجاريتية والتي مَثّلَتْ كل صوت بشكل حرف مستقل تقريباً.

وفي :الأبجدية الآرامية نرى غياب سبعة أصوات:

الغين	الخاء	الضاد	الذال	الظاء	الثاء	الهمزة
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧

وقد يتبادر للذهن أن الأحرف التي ندّعي غيابها أوجدتها عبرية الماسوريين الذين أخذوا بعضها من السريانية مثل:

عبري ماسوري (القرن ١٠ ميلادي)	سرياني غربي (القرن ٢/٣ ميلادي)
ב - ب أصبحت ב - ف V	ب = ب أصبحت ص - V ف
ג -ج مصرية أصبحت ג - غ	ج =ج مصرية أصبحت غ - غ
ד =ذ أصبحت ד =د	د =د أصبحت ذ =ذ
כ =ك أصبحت כ - خ	ك =ك أصبحت خ =خ
פ =ف أصبحت פ - بي P	ف =ف أصبحت ض - بي P
ת =ث أصبحت ת - ت[68]	ة =ت أصبحت [illegible] - ث

هذا الأمر نشك في صحته من حيث العمق التاريخي لهذه الابدالات، حتى ولو أوجدت العبرية بعض القواعد للفظ الكاف خاء على سبيل المثال حيث طبقت القاعدة المستحدثة على اللفظ، و لم يطبق اللفظ ليصبح القاعدة. ولدينا ما يخالف ذلك في التعرفة الجمركية التدمرية. على سبيل المثال فقد جاء في السطر ٤٦+٤٧ في عملية جباية الرسوم على بنات الهوى ما يلي:

ا ف   ي ج ب ا   م ك س ا   م ن   ز ن ي ت ا   م ن   م ن   د ي

أوف يجبى مكسا من زانيتا مِنْ مَنْ دي

ش ق ل ا   د ي ن ر (أو) ي ت ي ر   د ي ن ا ر   ح د   م ن   ا ت ت ا

شقلا دينار أو يتير دينارا حد مِنْ آتيتا

الكلمات العربية الميتة الاستعمال في هذا النقش:

١-أوف: بمعنى أيضاً. نجدها باقية فقط في تراثنا الغنائي (أوف يابا، أوف يابا).

٢-شقلا: شغلها.

٣-يتير: يزيد. جاء في سورة محمد الآية (٣٥) [69]: ﴿ فلا تهنوا ولا تحزنوا وادعوا إلى السلم

وأنتم الأعلون والله معكم ولن يَتِرَكُم أعمالكم ﴾. يَتِرَكُم أعمالكم أي: يُنْقِصَكُم أعمالكم.

وهي من التضادّ مثل: عسر = يسر، عشق = ظلم (بغض)، وشب = وثب = جلس[٧٠].

يصبح المعنى: [أيضا يجبى المكس من الزانية مِنَ مَنْ التي شغلها دينار أو يزيد دينارا حدّ من الآتية (هذا العمل)].

هنا نقف قليلاً لنرى، هل كلمة شقلا من (الثقل والشقل) بمعنى الأجر، أم شقلا من الشغل. أم لا هذي ولا تلك أن أصل كلمة شغل هي الشقل أم العكس؟ وإن كانت الأخيرة فهل صورة القاف في التدمرية تمثل أيضاً صوت الغين؟

٣- ق - غ مثل: ˓ = د = ر ؟

هذه أمور تحتاج إلى دراسة وتمحيص من قبل الباحثين العرب. ولو أننا وجدنا أن (˓ - ع + غ) بآرامية تدمر.

كذلك ومن التصحيحات في اللفظ التي نرى فيها مجال القرار والقطع هي: حَرَمُون وليس حَرَمُونْ (واو ممالة)، مثل قاسيون وكفرون وعجلون، وكلها مثل خلدون. لتواتر لفظها جيلاً بعد جيل، وهكذا ينطقها سكانها.

أيضاً كلمة جُبيل وليس جُبْلا.

ومملكة يادي وليس ياؤودي، والتي لا نزال نستعملها في تراثنا الغنائي عل يادي.. بمعنى وادي وهي مثيل: وهب ويهب، وتر ويتر، واقوصة وياقوصة.

كذلك كلمة [أنا ، كه] أنوك أو خلافها، أي توكيد لأنا (أنا أكهي) أنا اقشعني (أنا انظرني أمامك أنا هنا)، أتت في الأكادية (أنا ، كو) وهو لفظ قريب من المقترح الذي هو (أنا — كُهْ).

ونافلة القول أن نذكر بأن صوت الضاد لمسناه في الكنعانية في نقش (بيض ملك) المعروف بنقش (بيحيميليك) علماً أن صوت الضاد أصبح وجوده في الإبلائية أكيداً بكلمات وضاؤم[٧١] وحامضوم[٧٢]، بمعنى وضوء وحامض. وكذلك بالآرامية في كلمة مضايا (مصيف غرب دمشق).

ختاماً ولكأني أستنهض أولئك العروبيين من قبورهم، أكاديين وعموريين وكنعانيين وآراميين وسبئيين على اختلاف لهجاتهم. أستنهضهم من قبورهم ليرنوا ويسمعوا كيف نتكلم ونلفظ لهجاتهم.

وكأني أراهم يبتسمون استظرافاً بلكنتنا في لهجاتهم. ويضحكون لسماعهم المستشرقين (علماء الساميات) كيف ينطقون لغتهم بلكنتهم (الجرمانية أو اللاتينية).

ولعلّي أرى فريقاً آخر، ممن بعث من القبور، يقف مشدوهاً فاغر الفم وكأن الأمر لا يعنيه حسباناً منهم أنهم يتكلمون لغة غير لغتهم.

لذا فإن ما ذهبوا إليه لاستلاب التاريخ القديم ونقوشه وتراثه ليصبح إسرائيلياً يهودياً هو عار عن الصحة العلمية والتاريخية واللغوية.

الاختراع الأكبر: تحويل الصوت إلى صورة

ثم لا بد لنا من الإشارة أن هذا الوطن العربي القديم كان مهداً لهذه الكتابات من تصويرية فمقطعيّة ثم أبجدية.

فأما الكتابات التصويرية فهي تأتي في نطاق **الاختراعات العادية** ليسجّل الإنسان أفكاره في رموز [**نفهم فيها المعنى، ويغيب عنّا اللفظ**].

أما الاختراع الهام والعظيم **فهي الفكرة تعود إلى ذاك الإنسان الذي استطاع تحويل الصوت الخارج من الفم إلى شكل من الرسم** (سواء كان مقطعياً أم أبجدياً). هذا الاختراع الذي فتحنا عيوننا عليه فوجدناه أمامنا لقمة سائغة نستعملها، لا نفكّر من أين وكيف جاءت؟. بكلمة أخرى، إن ذاك المخترع الأول الذي حوّل الصوت إلى شكل كتابي، هو المبدع الحقيقي وهو الإنسان العملاق الذي لا يوازيه أي مخترع آخر في العصور اللاحقة حتى المعاصرة منها، كيف استطاع بخياله العلمي أن يحوّل هذا الصوت إلى شكل أو أشكال، بل إلى شكل حرفٍ كتابي؟

بعد هذا الاختراع، باستعمال **الخيال العلمي الصحيح** للوصول إلى الفكرة، أصبح من السهولة بمكان تقليد الفكرة باستنباط أشكال مختلفة من الرسومات لتعبّر عن أصوات الأبجدية كاملة. وباستطاعتنا اليوم اختراع أشكال جديدة إن أردنا، ما دام المجتمع سيتّفق عليها. فكم من الأطفال في المراحل الابتدائية اخترعوا أشكالاً للكتابة فيما بينهم ليكون لغزاً على أصدقائهم الآخرين. لذلك فالفضل يعود إلى هذا الإنسان الأول الذي حوّل لنا الصوت إلى رسم.

أما تقارض الخطوط بعضها من بعض، فهذا أمر عادي، وبالتالي فهذا ليس مهماً. أما التقارض (أي الاستقراض والاستعارة) والصلات المشتركة بين الأبجديات القديمة لدى العربي العارب القديم، فإنه يكمن ويترسّخ **بتقارض الفكرة** وليس بتقارض الشكل. هذه الفكرة التي حوّلت الصوت إلى رسم وشكل.

وفي هذا المجال نرى من المناسب التنويه إلى إشكالية اللفظ بالكتابات القديمة سواءٌ كانت مقطعية أم أبجدية. وفي هذه العجالة لا بد لنا من ذكر الثابت التالي الذي يذكر:

[أن أنظمة الكتابة منذ فجر التاريخ وحتى اليوم عاجزة عن تلبية وتحقيق متطلّبات الصوت]

وكما قدّمنا، عرف الإنسان ثلاث أنواع من الكتابة (تصويرية – مقطعية – أبجدية):

١- **فالتصويرية**: فهي كإشارات المرور اليوم، نفهم معناها ولكلٍّ له لفظه لها حسب لغته. لأن اللفظ السليم يعتمد على السماع بالأذن أولاً، واللفظ باللسان ثانياً، أما الكتابة التي تعتمد الرؤيا عليها فهي وسيلة للتذكير وليس للّفظ، ولا تُعتبر الكتابة أساساً في عملية اللفظ.

٢- **أما المقطعية**: يظن البعض أن المقطعية، وأهمها الكتابات المسمارية، كانت تحوي أحرفاً صوتية (إن صحّ التعبير)، وهي تحوي على اللفظ السليم، ولكنّها مع ذلك كانت لا تفي الكاتب بالأغراض اللازمة للّفظ وأهمّها السكون والشدّة.

بل إن لم يكن الكاتب على معرفة كبيرة بالأشكال المقطعية فليس باستطاعته أن يكتب الاسم صحيحاً في لفظه، بل لا بد من أخطاء إملائية كثيرة.

بل وكان في أكثر الأحيان يثبّت الأحرف **الساكنة** دون غيرها، وكثُرت الأخطاء الكتابية. حتى أسماء الآلهة كنّا نجدها بأشكال مختلفة مثل اسم الإله [دجّان].

فقد ورد اسم الإله [دجّان] في [dajānu] THE ASSYRIAN DICTIONARY و [dijānu][٧٣].
كما ورد في مجلة سومر[dajjānu][٧٤].

كما وردت كلمة [daddānu = diadānu – dadānu] لتعني (Neck Muscles= عضـــلات رقبة)[٧٥]. ووردت [damdammu – daddamu][٦٧] بمعنى (دابّة – بغل، مدلول عن صوت مشيه وخُطاه)، ووردت [daddiru = daddaru][٧٧] بمعنى (نبات شوكي)، [dummuqu -dammaqu][٧٨] بمعنى (يجمّل – يحسّن – يدمّق)، ووردت [dibbu – dippu][٧٩] بمعنى (لوح).

من هذه الأمثلة نستنتج أنه حتى المقطعية المسمارية التي تحوي على أصوات [ا + و + ي]، وكذلك [الفتحة والضمة والكسرة] هي عاجزة عن تلبية متطلّبات الصوت نتيجة أخطاء إملائية من قبل الكاتب، ولا يمكننا الركون إلى إملائية صحيحة إلا بعد ورود الكتابة لكلمة ما لأكثر من ثلاث مرّات على صفة واحدة لا تستحيل أبداً.

لهذا السبب كانت الحاجة إلى [الألف بائيّة] الساكنة التي تحوي [ا + و + ي] الساكنة المتمثّلة في كلمة [أَيَوْمْ] ، أما الأحرف الصوتيّة [ا + و + ي] والمتمثّلة في كلمة [بَأْرُوْدِيْ] فلم تكُ تُكتب. لهذ السبب نشأت ألف بائيّة أجاريت المسمارية مستمّدة نصف فكرتها من المسمارية المقطعية والنصف الآخر من الأبجدية الهيروغليفية التي استعملتها مع المقطعية آنذاك و لم تسعملها منفردة. أي إن أهل الشام في أجاريت مدينون في ألف بائيّتهم إلى إخوتهم في العراق وإلى إخوتهم في مصر، في ذاك العصر (١٨٣٠ ق.م)[٨٠] بدء تاريخ الألف بائيّة الأجاريتية.

ثم تحوّلت الكتابة من ألف بائية (٢٩ أو ٢٨ حرف) إلى أبجدية (٢٢ حرف) باختزال أكثر من صوت في شكل واحد مثل: [ص + ض] و[ع + غ] و[ر + د (في الكنعانية والآرامية)] أو [ر + ز (في الجزم)] لتصبح الأبجدية: [أبجد هوّز حطّي كلمن سعفص قرْشت][٨١].

بنتيجة هذا البحث نريد أن نقول

إن تقارض واستعارة بعض أشكال الأحرف الكتابية من كتابة إلى أختها كان أمراً عادياً، ويجب ألاّ نركّز عليه **ولا سيما إن كان سيخلق لنا حساسيات قطرية** في وطننا العربي في (من هو الأسبق؟).

لكن **ما يجب التركيز عليه** هو أن الاختراع الأول والعبقرية الأولى تعود إلى ذاك الشخص المبدع الذي **حوّل الصوت إلى شكل أو حرف**، وإن كنّا نريد المقارنة فهو يتفوّق على مخترعي ومكتشفي الذرّة وانشطاراتها في التاريخ المعاصر. ولا ننسى أن المخترع كان من هذه الأرض العربية القديمة، فلا فرق لدينا إن كان عراقياً أو شامياً أو مصرياً. [إذن: الفكرة أولاً، والشكل آخراً].

وعودٌ إلى البدهية الأولى: [إن اختلاف نمط الخط لا يدل على اختلاف اللغة]. نذكّر بما يلي:

١-إن قاموس لهجة أجاريت يحوي:

٩٠,٥٪ من الكلمات نجدها في معجم لسان العرب لإبن منصور.

٤,٣١٪ من الكلمات في لهجاتنا العامية مثل :(جوا -برا -خشه,بمعنى غرفة).

٥,١٩٪ كلمات ميتة من الإستعمال.أو من الكلمات المتحجرة كما يذهب البعض إلى تسميتها.

٢-إن قاموس اللهجة الآرامية يحوي:

٧٥٪ من الكلمات نجدها في معجم لسان العرب لإبن منظور.

١١,٢٪ من الكلمات نجدها في لهجاتنا العاميات.

٣-إن عاميّاتنا في الوطن العربي هي بقايا الأكادية والإبلاوية والكنعانية / العمورية والآرامية والمصريات. وليست تطوراً من اللهجة العربية العدنانية كما كان يُدّعى.

٤-العربية العدنانية أو العربية الفصحى، ليست أقدم اللهجات لكنها أكثر اللهجات التي أخذت من إخواتها القديمات وحافظت عليها.

وهنا يحضرنا قول فرديناند دوسوسير رائد فقه اللغة السويسري: [إن أقدم اللهجات هي

هاتيك اللهجة التي تحوي على قاسم مشترك أعظم من الكلمات][٨٢]. ونزيد عليه لنقول: [والتي حافظت على جذرها الثنائي والثلاثي أيضاً].

وبذلك نجد العربية العدنانية رائدة بحسب هذين المعيارين.

العرب ومصطلح العربيات

قد نتساءل: ماذا نريد أن نقول بعد هذا البحث [إن اختلاف نمط الخط لا يدل على اختلاف اللغة].

إن الواقع الأثري واللغوي والتاريخي يثبت لنا أن الأكادية والإبلائية وأجاريت وحتى السبئية ما هي إلا لهجات عربيات بأنماط كتابات مختلفة.

ونحن في خضمّ معركة شرسة مع العدو الصهيوني الذي استلب التاريخ القديم قبل أن يستلب الأرض، لا بد لنا من بعض الإيضاحات لتثمير غايتنا من عنوان البحث.

أولاً- معنى العرب معجمياً

إن معنى العرب معجمياً يعني الماء وكل ماله صلة بالماء، وليس كما ورد في الفكر التوراتي بأن العرب تعني البداوة والصحراء:

أ – ففي العربية العدنانية (الفصحى) نجد

١- أن عربة اسماعيل هي بئر زمزم.

٢- بئر عروب بئر كثير ماؤه.

٣- وادي عربة وادي الماء.

٤- امرأة عروب إلى زوجها امرأة متوددة إلى زوجها كالماء الصافي.

٥- العربات في دجلة هي تلك الزوارق التي تمشي على الماء ومنها انتقل مدلول كلمة عربة وعربية لتعنيا **العربة** البرية ذات العجلات.

٦- العربات في دجلة هي تلك الطواحين التي تعمل بقوة الماء.

٧- يوم العروبة [أي يوم الجمعة] هو اليوم الخاص بالنظافة واستعمال الماء ولا يزال يستعمل في آرامية معلولا قرب دمشق (يوم عروبتشا أي يوم الجمعة)[٨٣].

٨- والعربة : النهر الشديد الجري[٨٤].

ب – وأما في العربية الآرامية

١- فالعرّاب في الكنيسة هو ذاك المسؤول عن تعميد الطفل في الماء.

٢- جملة [تعريب الشيء] أي فصله وغالباً ما يتم تعريب القمح والشعير والبرغل في الماء لفصل الحب عن الحصى. وهي مستعملة في لبنان حالياً وأخذت مدلولاً لتعريب التفاح والبيض بمعنى الفصل وهو مدلول جديد.

٣- ووردت في العربية الآرامية بمملكة عربايا (التي تعني العرب) بأن كلمة عرب تعني الماء في الجملة التالية [ذا رب بيتا عرب] أي [ذا رب البيت المسؤول عن الماء][٨٥].

ج – وأما في العربية العمورية الأجاريتية

فقد ورد وصف للإله [حَدَدْ] الذي يحدد الأنواء أنه [راكب عربة] هكذا اللفظ تماماً في الأجاريتية راكب عربة لتعني راكب الغيمة التي تحمل الماء.

د – وأما في العربية الأكادية

فكلمة عربتو تعني الجو الغائم الحامل للماء.

وهنا نخلص إلى القول أن العربي هو الذي سكن عند مظانّ المياه وينابيعها للاستقرار والأعرابي هو الذي ينتقل إلى مظانّ المياه. فالعربي ابن الحضر، والأعرابي ابن الخيام المتنقل. ولا ننسى قول ابن خلدون [أن أساس الحضارة هي البداوة] [٨٦].

ثانياً ـ تاريخ كلمة عرب

يتحدّث الكثيرون أن كلمة [عرب] وردت في النقش الذي يتحدث عن معركة قرقر الأولى ٨٣٥ ق.م بذكر جندي بو العربي.

والبعض الآخر يقول: إن ذكر العرب بدأ من تاريخ نقش امرئ القيس ٣٢٩ ميلادية إمعاناً في الافتراء لأنهم بنوا هذه الفكرة من نمط الخط الذي جعلوه بدايةً لتاريخ العرب.

نقول: لقد اتّخذ المؤرخون المستشرقون في شكل الكتابة الواردة في نقش امرئ القيس (الذي يعود إلى سنة ٣٢٩ م) أساساً في تحديد تاريخ العرب، حيث ظهر (حسب ظنهم) تماثُل هذا الحرف بحرف الجزم (العربي)، والذي دُوِّنَتْ به المعلقات والقرآن الكريم كما أشار هذا النقش صراحة إلى أن امرؤ القيس هو ملك العرب. ورغم أنه لا يمكن الجزم بنسبة العرب إلى شكل حرفهم، كما بيّنا، إلا أن من الملاحظ أن طريقة النحو في هذا النقش – بغض النظر عن شكل الحرف – هي طريقة نحوية عربية آرامية تدمرية وليست عدنانية. والدليل على ذلك النص:

يذكر النص:

النـــــص : تـــي نفس مر القيس بر عمر و ملك العرب كله ذو آسر التاج[٨٧]

الشـــــرح: تـــــي (هـــذه) نفس امرؤ القيس بن عمر و ملك العرب كلهم ذو آسر التاج (ذو صاحب التاج).

طريقة النحو العربية العدنانية تأتي (ملك كل العرب) بدلاً من (ملك العرب كله).

ونجد هذا النحو أيضاً بالآرامية في نقش سبطيم (يوس) أذينة ملك الملوك في تدمر:

(88)

ص ل م س ب ط م ي و س ا ذ ي ن ت م ل ك م ل ك ا

صلـــم سبطيـــــم (يوس) اذينـــــة ملـــك ملوكا [89]

و م ت ق ن ن ا د ي م د ي ت ا ك ل هـ

ومُتَقِنَنــــــــــا دي مديتـــــا كلـــــه

ومتقننا (من الإتقان) الإصلاح، أي ومصلحنا (بـــ) هذي المدينة كلها.

نلاحظ توافق طريقة نحو الجملة في نقش النمارة (نقش امرئ القيس) مع طريقة النحو العربية التدمرية الآرامية في إنهاء الجملة بكلمة (كلّه). وهي مخالفة نوعاً ما طريقة النحو العدنانية . أما شكل حرف نقش امرؤ القيس مقارنةً بالحرف الآرامي التدمري وحرف الجزم فنجد:

النقش	الآرامي التدمري	ملاحظ
ق		نجده في السبعية :
ع		
و		
ذ		= د = ر

بمعنى آخر فإن هذا النقش يمتّ للحرف الآرامي أكثر من حرف الجزم العدناني إلا في عملية الوصل. أما أصول هذا الحرف فهي عربية آرامية.

أي أن العربي الآرامي امرؤ القيس ذكر أنه ملك العرب.

من هنا نقول بأن شكل الحرف في نقش امرئ القيس هو آرامي تدمري (موصول) وأن أسلوب النحو في الجملة هو نحو عربي آرامي أيضا أي أن امرؤ القيس هو عربي آرامي وليس عربياً عدنانيا (لغةً) ومع ذلك فهو يذكر أنه ملك العرب. إلى جانب أنّ الاسم الموصول (تي)

الكلمة الأولى في النقش هي آرامية بحتة ولا يزال أهل معلولا وبخعه وجبعدين من ذوي البقايا اللغوية الآرامية يستعملون (تي) بمعنى (ذي، والذي)[٩١].

ولاحظ أحرف النقش مع الأحرف الآرامية التدمرية:

	شكل حرف نقش امرؤ القيس	الآرامي التدمري	الآرامـــــي المربّـــع	
ت:			ת	
ي:			י	
ن:			נ	ן : نون النهاية
ف:			פ	
س:			ס	
م:			מ	ם : ميم النهاية
ر:			ר	
ا:			א	
ل:			ל	

نلاحظ بالمقارنة أعلاه كيف أن أحرف النقش قريبة جداً من الأحرف الآرامية المربّعة.

وخلاصة نقش النمارة (نقش امرؤ القيس):

فقد تبيّن لنا أن هناك خلافاً كبيراً لما ذهب إليه المستشرقون وعلى رأسهم إسرائيل ولفنسون، ونحى نحوه بعض المؤرخين واللغويين العرب عن حسن نيّة. فقد ورد لديهم: أن امرؤ القيس هو ملك العرب (ويقصدون العرب العدنانيين)، حيث أن الآراميين ليسوا عرباً. وثانياً أن الكتابة الواردة في النقش هي بداية خط الجزم العربي العدناني.

وعكس ذلك، فقد تبين من النقش

١- أن امرأ القيس لغوياً هو آرامي اللهجة وليس عدنانـــي اللهجة، والدليل على ذلك نحو الجملة (ملك العرب كلّه) وليس (ملك كل العرب). تماماً كما نجد ذلك بباقي النقوش الآرامية، ومع ذلك فكلا اللهجتين عربيتين.

٢- استعمال بعض أدوات المعنى والكلمات مثل (تـــي): بمعنى هذه، وهي عربية آرامية لا تزال مستعملة في آرامية معلولا اليوم. ثم كلمة (آسر التاج) والتي تعني (صاحب التاج).

٣- نظام وشكل حرف الكتابة يمت للآرامية المربعة بنسبة كبيرة كما بيّنا، وهو بعيد عن خط الجزم العدنانـــي نسبياً أيضاً.

إذن، فإن امرؤ القيس هو آرامي اللهجة (نحواً وأدوات معنى ونظام كتابة). مع ذلك فهو يقول أنه ملك العرب كله.

إذن، فالآراميون عربٌ حسب تصريح امرؤ القيس الآرامي، وهذا الرد الأول على عروبة الآراميين.

أما الشواهد الأخرى التي تنسب العرب إلى أعمق من ذلك تاريخياً، فقد ورد في نقشين مسماريين قديمين:

النقش الأول

يتحدث عن معركة قرقر الأولى (٨٥٣ ق.م) بين العرب الآشوريين والعرب الآراميين الذين تحالفوا مع عدد من القوى على رأس إحداها جندي بو (GINDIBU) العربي الذي شارك في هذه المعركة بـــألف محارب على الجمال ضد سلما نصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) وهنا لنا وقفة عند اسم القائد العربي جندي بو[٩١].

هذا الاسم عربي أكادي (وسيط) بلاحقته (الواو) فلفظه بالأكادية القديمة جنديبوم[٩٢] (وهي تمثل التنوين في العربية العدنانية) أما اللهجة العربية الأكادية الوسيطة فقد رُخّمت (قطعت) الميم فأصبحت جنديبو[٩٣] وهذا دليل الاستمرارية ودحض لكل تفريق مغرض بين أبناء العمومة الواحدة. فهو عربي بلهجة أكادية وسيطة.

أما النقش الآخر

فيورده إسرائيل ولفنسون (والفضل ما شهدت به الأعداء) في كتابه عن اللغات السامية نقرأ فيه أن سرجون (شارو - كين) كان أول من أسس ملكاً سامياً كبيراً في أرض بابل وحارب الأمراء السومريين ثم خرج من تخوم بلاد العراق واتجه شطر شبه الجزيرة العربية مع حفيده (نار ام سين) وقاتل قبائل عربية ذُكرت في الآثار البابلية باسم (عرب ملوكا وعرب مجان أو معان)[٩٤].

ولدى قراءة النص السابق يمكن القول: إن قراءة ملوكا أو ملوقا مقبولة، ذلك أن المقطع المسماري يسمح لنا بقراءتها (ج) أو (ك) أو (ق)[٩٥] أما مجان فلا يمكن قراءتها معان حيث لا

تبديل لها بصوت العين[٩٦] فيبقى أمامنا **الاحتمالات التالية:** مجان - مقان - مكّان. وحيث لم يستطع المؤرخّون تحديد مكان مجان نقترح نحن تحديدها في مكة = مكا[٩٧] حيث عند إضافة اللاحقة (ان) تصبح مكآن وتدغم فتصبح مكّان[٩٨].

ويأتـي نقش آخر على ذكر الأسماء نفسها إذ يذكر أن

[شاروكين هو ملك كيش، خاض ٣٤ معركة وانتصر فيها ودَمَّرَ أسواراً حتى شاطئ البحر وجعـــــــل سفناً من (ملوقا) وسفناً من ماجان (مكّان) وسفناً من دلمون ترســـو في مينـــاء أكــاد][٩٩].

وهنا قد يقال أن مكّان هي مدينة على شاطئ بحر وليس في برية.

وللرد على ذلك يمكن القول:

١- لم يكن شاروكين نفسه هو الذي كتب النقش بل كلّف أحد الكتبة بتدوين المعلومات الواردة فيه.

٢- ليس من الضروري أن يتمتّع الكاتب بمعرفة جغرافية دقيقة، فهذا ليس من اختصاصه ويجوز أنه كَتَبَ بعيداً عن المكان نفسه أي أنه لم يكن مرافقاً للملك وإنما سمع من المرافقين.

٣- نلاحظ من النص أن الهم الأكبر والهدف الأول في هذا النقش ذكر وصول السفن إلى ميناء أكاد. فذهن الكاتب مولع بالميناء والسفن، بعيداً عن اليابسة.

٤- لقد ورد في قاموس الأكاديات كتابة مكّان كما يلي: MAKKAN[١٠٠]

ولهذه الأسباب نرجّح جهل الكاتب أو سهوه، بالإضافة إلى أن الكتابات على الرُّقُم الطينية تحتاج إلى الاختصار والاختزال.

وعلى أية حال فإن ما يهمنا في إيراد جملة عرب مكّان وعرب ملوقا ليس تحديد موقع مكّان بقدر ما يهمنا أن **ذكر العرب**[١٠١] **كان في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد،** لا كما يُعتقد إلى فترة قريبة بأن أول ذكر للعرب كان في معركة قرقر ٣٥٨ ق.م. وكذلك عند هيرودوت، في حديثه عن مصر يذكر النص التالي:

[وبعد ذلك ساق **ملك العرب والآشوريين (سين حريب)** جيشاً عظيماً نحو مصر وهناك رفض المحاربون المصريون مدّ يد المساعدة له، فلما وقع الكاهن في هذه الحيرة، توجه إلى المحراب يندب أمام التمثال ما يعانيه من خطر، وفيما هو يئن استولى عليه النعاس، وبدا له في الحلم أن

الرب يقف بجانبه، يشجعه ويقول: إنه لن يصيبه مكروه إذا خرج لملاقاة الجيش العربي، لأن الإله نفسه سيبعث إليه من يدافعون عنه] (١٠٢).

نلاحظ هنا أن ملك العرب هو سين حريب وأن الجيوش التي قادها باتجاه مصر فيها جيش عربي. ومن النص والنصوص الأقدم تبين أن ذكر العرب لم يرتبط بعصر واحد أو بسنة ٣٢٩ م(١٠٣)بل بكل العصور التاريخية التي مرت فيها المنطقة بدءاً من الألف الثالثة زمن (نار ام سين) مروراً بسلما نصر من القرن التاسع وصولاً إلى هيرودوت من القرن الخامس ق.م.

وبعبارة أخرى لقد ورد ذكر العرب منذ فجر التاريخ في بلاد الرافدين.

إذن، كلمة عرب – بناءً على ما تقدّم – وردت في أواخر الألف الثالث ق.م وهي أقدم من أي تعبير آخر كالعموري والجزري والكنعاني والآرامي والعبري والسامي (الذي ليس له وجود في النقوش) ومع ذلك فنحن لسنا ضد هذه المصطلحات التي (يمثّل بعضها) مصطلحات قطرية صحيحة لكنها غير شاملة وليست بديلاً للساميات، أما العربيات فهي تشمل كل هذه المصطلحات وهي البديل.

مصطلح الساميات

هذا المصطلح لا يشي بالحقيقة، ويمكن أن يختلط بمدلول آخر، وإليكم بيان ذلك:

١- لم نجد كلمة سام وسامي في النقوش القديمة بتاتاً.

٢- إنه مصطلح توراتي صرف ، أوجده اللاهوتي شلوتزر وأطلقه أرنست رينات في القرن التاسع عشر(١٠٤).

٣- أصبح مصطلحاً يدل على اليهود واليهودية بشكل مطلق، فمن ينتقد السامية فهو ينتقد اليهودية الدينية، والصهيونية السياسية.

يدل على ذلك ما جرى في الانتفاضة الثانية في فلسطين المحتلة التي بدأت في ٢٨/٩/٢٠٠١، أن الرئيس حسني مبارك اتُّهم بأنه ضد السامية لأنه انتقد تصرّفات الإسرائيليين، وكذلك اتُّهم الرئيس بشار الأسد بالتهمة ذاتها للتصرف ذاته.

إذن، أصبح هذا المصطلح تعبيراً ينم عن اليهود والصهاينة دون غيرهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما المصطلح الدالّ دلالة علمية عن هذا المفهوم؟

نقول: إن مصطلح العربيات هو البديل الأمثل لغوياً وأثرياً وتاريخياً.

ولشرح هذه الفكرة نقول:

إن هذا المصطلح لن يستوي ويكتب له النجاح إلا إذا اعتبرنا أن اللغة العربية الفصحى هي نفسها اللهجة العربية العدنانية، وهذا المصطلح سليم من الناحية التاريخية.

وبذلك نستطيع أن نقول اللغة اللاتينية بلهجاتها : اللهجة اللاتينية الفرنسية واللاتينية البرتغالية واللاتينية الإسبانية والإيطالية والرومانية وكذلك اللغة الجرمانية بلهجاتها الألمانية والهولندية والسويدية والإنكليزية ..الخ.

أما اللغة العربية الأم (والتي لا نعرفها) فتضم اللهجات العربيات التاليات

١- اللهجة العربيةالأكادية (بفرعيها البابلي والآشوري).

٢- اللهجة العربية المصرية بكتاباتها القديمة المختلفة.

٣- اللهجة العربية الإبلائية.

٤- اللهجة العربية العمورية / الكنعانية.

٥- اللهجة العربية العمورية /الكنعانية /الأجاريتية.

٦- اللهجة العربية الآرامية.

٧- اللهجة العربيةالنبطية.

٨- اللهجة العربيةالصفائية.

٩- اللهجة العربية الثمودية.

١٠- اللهجة العربيةالليحانية.

١١- اللهجة العربية العدنانية(أي اللهجة العربية الفصحى).

١٢- اللهجة العربيةالسبئية(القحطانية).

١٣- اللهجة العربيةالسريانية.

١٤- اللهجة العربية الآرامية في معلولا وبخعة وجب عدين.

١٥- اللهجة العربي البربرية.

١٦- اللهجات العربيات القبطيات.

وأما اللهجات (التي يُظنّ أنها من العربيات ولم نتطرّق إليها) فهي

١- اللهجة العربية المصرية القديمة.

٢- اللهجة العربية القبطية.

٣- اللهجة العربية البربرية.

وعدم تطرق البحث إليها لا ينفي ولا يؤدي إلى انتفاء عروبتها وخاصة ما جاء به العلاّمة أحمد كمال في قاموسه الشهير الذي لم ينشر بعد والذي يُرْجِع فيه المصريات إلى العربيات.

وفي مجال إضفاء تعبير اللغة العربية على هذه اللهجات، فإننا نطرح الأسئلة التالية:

١- **السؤال الأول:** متى ظهرت كلمة عرب تاريخياً؟ وما هو مدلولها؟ حتى يحق لنا إضفاء هذه الصفة على لهجات المنطقة؟ وهذا السؤال أجيب عنه فيما سبق، فعرفنا معنى كلمة عرب أنها تعني الماء وكل ما له صلة بالماء. وأن ذكر العرب ورد في الألف الثالثة قبل الميلاد.

٢- **والسؤال الثاني:** لماذا لا نبقي على مصطلح اللغات السامية بدلاً من اللهجات العربيات؟

أنفاً، ومن نافلة القول: أن نقد النظرية السامية أصبح معلوماً، وأول من أشار إلى ذلك منذ ربع قرن ونيّف العلاّمة أ.د. محمد محفّل في كتابه الجامعي مدخل إلى اللغة الآرامية، دمشق ١٩٧٤، وكذلك كتاب توفيق سليمان، نقد النظرية السامية، دمشق ١٩٨٤)، أيضاً د. نعيم فرح...

ولا ننسى بأننا نحن العرب الساميين (حسب النظرية الصهيونية) أصبحنا أعداءً للسامية وأصبحنا لا ساميّين. وعندما نكون كذلك في نظر الغرب أيضاً فإن السامية أصبحت محصورة بالصهيونية، وهو مصطلح لا يهمنا من قريب أو بعيد.

٣- **السؤال الثالث:** أين بقيت العبرية من هذه اللهجات؟ ، ولماذا لا نسميها العربية العبرية؟.

وهنا نقول: ما دامت العبرية هي خليط من العربية الكنعانية والعربية الآرامية (سِفر دانيال وأجزاء من سِفر عزرا)، وما دمنا نبحث في الأصل فلا داعي للفرع. هذا إلى جانب أن اليهود أنفسهم، ولغايات تعصّبية **شوفانية** (نسبة لشوفان)[١٠٥]، أخرجوا أنفسهم من المظلة العربية إِثْنياً وعرقياً وأرادوا أن يكون الدين هو بديلهم الإثني، وهذا شأنهم. رغم أنه لا يمت للحقيقة العلمية والإثنية واللغوية بصلة.

ولكن يبدو أننا نحن العرب ينتابنا شيء من الخجل أو قلة المعلومات التاريخية لنعلن إذا ما أردنا أن نعتمد مصطلح عربيات بديلاً عن مصطلح الساميات، أو خوفاً من انتقاد بعض المستشرقين ذوي الميول التوراتية. فقد ذهبت مدارس عدة - بعد نقد النظرية السامية - إلى استعمال اللغات الجزرية (نسبة لشبه الجزيرة العربية) أو العمورية أو مصطلح اللغات القديمة أو مصطلح لغات الوطن العربي القديمة. ولعل أخطر هذه المصطلحات هو المصطلح الأخير «لغات الوطن العربي القديمة» لأنهم يقصدون بذلك أن هذا الوطن العربي لم يكن عربياً قبل الإسلام.

هل هناك توافق بين الدراسات الاثرية والكتابية (نقوش) وما جاء به الاخباريون العرب. نقول:

لقد ورد عن الإخباريين العرب أن هناك عرباً باقية – وعرباً عاربة – وعرباً مستعربة – وعرباً بائدة.

نعم هناك توافق، [**فاللغة مسبار وكشّاف بين الشعوب**] واختلاف نمط الخط لا يدل على اختلاف اللغة كما بيّنا.

ونستطيع من خلال البحث الأثري والتاريخي واللغوي أن نوضّح ما جاء به الإخباريون العرب كما يلي:

١– العرب الباقية: هم سكان شبه الجزيرة العربية بعد أن كانت ذات أنهار ومياه وأشجار حسب نظرية كيتاني أو ما تسمى بالنظرية الكاسحة. فالحركات التكتونية أثرت في ينابيع المياه، فقد بقي بها من الناس ما يكفيه ماؤها بعد جفافه كوادي الدواسر (نهر لار). إذن، هؤلاء هم العرب الباقية. (لمزيد من التفصيل، راجع كتابنا ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية).

٢– العرب العاربة: الذين عربوا أي انتقلوا إلى مظان المياه. كدجلة والفرات وسيحان وجيحان والعاصي والأردن والنيل بعد جفاف شبه الجزيرة العربية.

٣– العرب البائدة: لم يبادوا دفعة واحدة بل على فترات مختلفة فمنهم عرب إبلا وماري وأكاد وأجاريت وخلافهم.

٤– العرب المستعربة: ومنهم قريش الذين عادوا إلى شبه الجزيرة فنحن نعلم أن قريش ليست أصيلة في مكة إذ حلت مكان قبيلة جرهم. (لمزيد من المعلومات إرجع إلى كتابنا ملامح في فقه اللهجات العربيات).

لذلك وإلى جانب الأساس اللغوي الواحد [الذي هو مسبار الشعوب] فإن لدينا من التراث الذي جاء به الإخباريون العرب ما يعتبر تراثاً صحيحاً.

والسؤال الأخير: هل سمى هؤلاء الناس أنفسهم عرباً كي نطلق عليهم هذه التسمية؟ ونقول:

١– ما دام السكان جميعهم عرباً في الماضي فلا داعي لذكر عرب. فنحن المنتدون الآن في الإسكندرية لا نسمّي أنفسنا عرباً لأنه أمر مفروغ منه، لكنّا نقول ونحن في هذا المنتدى إن فلاناً مصريٌّ أو عراقيٌّ أو جزائريٌّ.

وأما سكان مصر فلا يقولون في مجتمعهم أنهم مصريون لأنه شيء مفروغ منه لكنهم يقولون: فلان اسكندراني أو دمياطي أو اسيوطي أو أسواني، وهكذا كان لدى العرب القدماء وخاصة العرب العاربة منهم [أكاديين وبابليين وآشوريين وإبلائيين وأجاريتيين الخ ..].

٢- عندما دخل الأجنبي إلى المنطقة كالإغريق والفرس والرومان نجد أن الآراميين سكان مدينة الحضر في العراق سموا أنفسهم عرب [عربايا] مملكة عربايا، وكلمة عرب [بفقه وصرف اللهجة العربية الآرامية] تجمع بالياء والنون في حالة النكرة فتصبح عرب + ين = عربين. أما في حالة التعريف لتعني العرب فيضاف لها الألف بآخر الكلمة مثل:

قرحة + ا = قرحتا في المفرد [أي القرحة].

أما في حالة الجمع فـ: [عربين + ا = عربينا] لكن أداة التعريف العربية الآرامية (الألف بآخر الكلمة) تزيل النون فتصبح عربايا.

مثل : قدس - قدسين - قدسيّا (قرية غرب دمشق)

راش - راشين - راشيّا (لتعني الرؤوس)

حصب — حاصبين — حاصبيّا (وكلاهما قرى في لبنان)

بمعنى آخر : نعم لقد سمى الآراميون أنفسهم عرباً عندما حاق بهم الإغريق والفرس والرومان لتمييز أنفسهم فسمو أنفسهم عرباً.

في الختام، آن لنا نحن العرب [عراقيين وشاميين ومصريين وحجازيين ويمنيين ومغاربة] أن نبدأ العمل بعد أن أصبح لدينا علماء أجلاّء في هذا المضمار، لنعيد قراءة تراثنا ونقوشنا التي استُلبت، على أن نقرأها بمدرسة لغوية واحدة.

الحـــواشـــــي

(١) البوطي محمد سعيد رمضان، هذه مشكلاتهم ، دار الفكر. عن ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣ ، ص ٥٩٧.

(٢) مادون محمد علي، خط الجزم ابن الخط المسند، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٩، ص ٥١.

(٣) المجلة البطريركية السريانية، العدد: ١٠٣، آذار ١٩٩١، السنة ٢٩، دمشق ص ١٢١.

(٤) مادون ، المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٥) في العربية العدنانية، نجد إبدال الشين بالسين، فكلمة شطر تحمل معنى الاتجاه.

(٦) مادون، المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٧) ALAN GARDINER, EGYPTIAN, p.611.

وكانت تكتب الكمة في المصريات القديمة قمة لكن غاردز لا يُعرّف القيمة الصوتية لـــ ق = ك. المرجع نفسه، ص ٥٢٥.

(٨) ولو أن البعض يقول استمرارها في القبطية، لكن اليونانية استعملت كلمة (ايجبت).

(٩) من الملاحظ أن ما عرف بالتاء المربوطة في العدنانية هو موجود (لفظاً في بعض العربيات) وسنسميها بتاء النهاية حيث يمكن لفظها هاء أو تاء، نخص بالذكر هنا كلمة كمة. ويسميها البعض بـــ هاء السكت.

(١٠) هيرودوت ، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(١١) لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا ملامح في فقه اللهجات العربية من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية، دار شمال، دمشق، ١٩٩٩، ص ٦٦ - ٦٩.

(١٢) مادون، ص ١٠٧.

(١٣) فاروق إسماعيل، لغة نقوش الممالك الآرامية، دراسة مقارنة رسالة ماجستير ١٩٨٤، ص ٢٥٦ - ٢٦٦.

(١٤) C.I.S. SECUNDA-TOMUS 111

(١٥) J.C. TREUER, THE DEADSEA SCROLL 1079

(١٦) النقوش التدمرية من ٤٠ ق.م - ٢٧٢ ميلادي أما لفائف البحر الميت فهي من ٢٠٠ - ٥٠ ق.م كما يقولون، ولو أننا نشك في ذلك ونميل إلى أن كتابات قمران هي في بداية القرن الأول الميلادي، وهو عمل يحتاج لتحقيق من قبل البحاثة العرب لأهميته لأنه يقارب لهجة السيد المسيح من الناحية الجغرافية والزمنية.

(١٧) دوبون سومير، ص ١٦٥.

في المصطلح الدقيق نقول (الأبجدية للقيمة العددية) حيث من الألف وحتى الياء هي واحد وحتى العدد عشرة، وهكذا، ومصطلح (الألف بائية للأحرف الكاملة ٢٨ حرفاً في خط الجزم العدناني و ٢٩ في الأحاريتي).

(١٨) ومن الأمثلة في العصور الحديثة : أن اللغة الإسبانية القشتالية والمسماة بالـــ خيميادو AL JAMIADO

كُتِبَتْ بالحرف العربي في القرن السادس عشر وهناك كُتُب عديدة في سرقسطة ومدريد، كذلك هناك مصاحف تُرجمت إلى الأسبانية بالحرف العربي لاجاميا وتعني الأعجمية' أنظر : أحمد زكي، رحلة للأندلس ١٨٣٩، دراسة وتقديم محمد كامل الخطيب، وزارة الثقفاة دمشق، ١٩٩٠، ص ٤٤ -٤٦. وهي التي يشير إليها أحمد زكي أن الأسبان أبدلوا كافة حروف الجيم إلى خاء معجمة فأصبحت الجزيرة تلفظ الخثيرا، إلا أنه حَمِدَ الله أنه وجد AREGLIA (التي تعني الجزائر) قد انتابها القلب المكاني فجعلوا الراء مكان اللام وقالوا أرخليا AREGLIA و لم يقولوا غير ذلك.

(١٩) R.CAPLICE,p. 6.

(٢٠) MONUMENTS OF ARMENIA FROM THE PREHISTORIC ERA TO THE 17th CENTURY B.C. OCIETE TECHNO PRESSE MODERN E.S.A.L.P.B 6682 BEYROUTH LIBAN,1975,pp. 13-17.

كذلك وجدنا في هذا المرجع الأرمني أنه ينسبون كتابات أرمنية كتبت بالمقطعية المسمارية (وإننا نشك في ذلك).

(٢١) دوبون سومير، ص ١٣١، وابن منظور، مادة كنع (٨ : ٣١٨).

(٢٢) لقد حدَّد علماء الأكادية هذه الأصوات إن كان مدّاً طويلاً كالألف والواو والياء، وإن كان قصيراً كالفتحة والضمة والكسرة، إلا أننا نشكّ بذلك لأنهم اتبعوا المدرسة (الماسورية) التوراتية في اللفظ والتي ثبتها المساوريون في القرن العاشر بعد الميلاد. راجع الفصل الرابع من هذا الكتاب (إشكالية اللفظ).

(٢٣) عبد العال عبد المنعم، معجم الألفاظ العامية، مصر، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، ص ١٧.

(٢٤) العسقلاني ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ٥٩٧، عن البوطي محمد سعيد رمضان، هذه مشكلاتهم، دار الفكر، دمشق، ص ١٨٤. وردت لديه (وكان يَكتِبُ اللغة العربية بالحروف العبرانية) وما يسميه المستشرقون اليوم الحرف الآرامي المربع.

(٢٥) مادون محمد عي، خط الجزام ابن الخط المسند، دمشق، دار طلاس، ط ١ ، ١٩٨٩ ، ص ٥١ + ٥٣ + ٢١٠، شكل رقم ١١.

(٢٦) المجلة البطريركية، العددان (١٠١ - ١٠٢)، كانون ثاني - شباط ١٩٩١، السنة ٢٩، دمشق، غريغوريوس بولس بهنام، العلاقات الجوهرية بين العربية والآرامية، ص ٢٢. وكذلك العدد ١٠٣، آذار ١٩٩١، ص ١٢١.

(٢٧) مادون ، الشكل ٢٣، ص ١٠٧.

(٢٨) روسّي بيير، تاريخ العرب الحقيقي، وزارة التعليم العالي، دمشق ص ١٨٥.

(٢٩) سومير دوبون، الآراميون، تعريف ناظم الجندي، راجعه د. توفيق سليمان، دار الأماني، طرطوس، طبعة أولى، ١٩٨٨ ، ص ١٣١.

(٣٠) ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار صادر، بيروت، مجلد ٨ ، مادة (كنع)، ص ٣١٦.

(٣١) بير روسّي ، ص ٢٣.

(٣٢) اليدش خليط من البولونية والألمانية والروسية مع عبرية حديثة.

(٣٣) العبرية المحكية الحديثة، بداية القرن العشرين، بيير روسي، ص ٢٣.

(٣٤) التوراة بالحرف الآرامي المربع، سفري دانيال ص ١٢٥٥ وعزرا ص ١١٨٤.

ו ר ה נ ב י א י ם ו כ ת ו ב י ם

و ر هـ ن ب ي ا ي م و ك ت و ب ي م

أي : توارة النبيين والكتّاب

BIBLIA HEBRAICA STUTTGART, 1937, pp.1255,1284.

(٣٥) بطرس عبد الملك ورفاقه، قاموس الكتاب المقدس، بلا تاريخ ص ٧٦٣.

(٣٦) أقول الأخوة العرب اليهود، لأننا نفرق أولاً بين اليهودي والصهيوني، فنحن لسنا ضد اليهود، فوجودهم بين ظهرانينا قبل الإسلام وبعده. ووجود أحياء كاملة لهم في أهم المدن العربية مثل القاهرة ودمشق وبيروت وحلب وبغداد (حتى الآن)، فهو وسام على صدر حضارتنا العربية الإسلامية. فإن شاء الصهاينة أن يأخذوا الدين ليجعلوه قومية لهم (فهذا شأنهم). أنسينا بني قريظة وغيرهم، أليسو عرباً؟. أما الصهيوني، فنحن وكل العالم المتفتّح ضدّهم للأسباب التي نعرفها، فكل صهيوني يهودي، لكن ليس بالضرورة أن يكون كل يهودي صهيونياً (ولو قلّ عددهم). لقد تعايش العرب مسلمين ومسيحيين ويهوداً بوطن واحد وحتى الآن. أنستطيع أن نرى تعايشاً في أوربا بين الأرثوذكسي والبروتستانتي أو الكاثوليكي (إنه أمر من الصعوبة بمكان)، لذا وجدناهم في «كونتونات» مختلفة. وحين نقول الأخوة العرب اليهود ، فعسانا أن نزيد من أعدادهم ويتخلّون عن الصهيونية. ونحن هنا لا ننادي سوى اليهود العرب، أما يهود الخزر أو ما سمّي بـ (الأشكناز) فليعودوا إلى بلدانهم، وهذه حضارتنا.

(٣٧) فايز الداية، علم الدلالة العربي، ص ٢٤٥.

(٣٨) فايز الداية، المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(٣٩) مشكلتنا السريانية ق ٣.

(٤٠) الصالح صبحي، فقه اللغة، ص ٢٨ -ص ١١٣.

(٤١) جاء في الروايات (نقلاً عن المزهر للسيوطي مع بعض التصحيح الجغرافي) أن العربية الفصحى لم تؤخَذ إلا من قريش وتميم وأسدّ وهذيل وبعض كنانة وبعض الطالبين، و لم يُؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وعن هؤلاء نقل علماء اللغة، وبهم اقتدوا، وعليهم اتكلوا في الغريب والإعراب والتصريف، وبالجملة، فإنه لم يُؤخذ عن حضري قط (خوفاً من الدخيل)، ولا عن سكان البراري (البدو الأعراب) من كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الذين حولهم. ولذلك لم يُؤخذ من لَخم لمجاورتهم الفرس، ولا من جُذام لمجاورتهم الأنباط وقِبطُ مصر، ولا من قضاعة وغسان لمجاورتهم أهل الشام، ولا من تَغلب فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للروم والفرس، ولا من عبد القيس وأزْد عُمان لأنهم كانوا مخالطين للبحرين المتأثرة بالهند

والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من سقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز (يثرب) المدينة المنورّة. لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين راحوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم. وجاء في الأخبار أيضاً أنه كان على العرب أن يحدّدوا موقفهم من قريش بوضوح، ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وسمّوها وأهل الله)، فرأوا أن قريشاً كانت مع فصاحتها وحُسن لغتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلاهم، فاجتمع ما تخيّروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طُبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب...(السيوطي، المزهر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨، ج ١ ص ٢٠٩. (راجع خريطة القبائل العدنانية) ص ٣٩٧). ويعلّق د- محمل محفّل على هذا فيقول:(ألا نرى أن ما جيء به في روايات كهذه فيه كثير من التكلّف ولا يعدو أن يكون وهماً، ليس إلاّ). ونقول أنه من الخطأ بمكان اعتبار الأنباط (كما جاء سابقاً) وكأهم ليسوا من العرب، درسنا لهجتهم، لكن تغيير مدلول (من بلسانه عُجْمَه كان عربياً ثم أصبح غير عربي، لذلك اعتبروا الأنباط أعاجم عن جهل بأصل المدلول كما في حالة السيوطي.

(٤٢) وزارة التخطيط السورية، المكتب المركزي للإحصاء، الدليل الهجائي للمدن والقرى والمزارع في سوريا، سلسلة الدراسات رقم ٥٦ لعام ١٩٧٢، دمشق.

(٤٣) السوسي محمد، العلوم العربية بالأندلس ونقلها إلى أوربا ودورها في تطور العلوم، محاضره في الندوة الدولية للثقافة العربية الإسبانية عبر التاريخ، محاضر من تونس، دمشق، ١٩٩٠، ص ٢.

(٤٤) وجدنا في النقوش الآرامية كلمة [ ] سور لتعني سور تماماً كما هي بالعدنانية و [ ] السين المهملة وليس الشين المُعجمة وهذا ما وجدناه في كلمتي:

(افس) [ ] جنوب حلب وجزيرة سردينيا [ ]

أ ف س س ر د ن ا

فتواتر لفظها منذ القدم سينا مهملة وليست شينا مُعجمه. وهكذا تعني سوريا بالآرامية (الأسوار) وهي فعلاً البلاد المُسَوَّرَة. الفرات وسيحان وجيحان من الشمال، والفرات من الشرق، والبحر الأعلى (المتوسط) من الغرب؛ وصحراء النفوذ من الجنوب، وهكذا فسوريا وشبه الجزيرة العربية تكونان الجزيرة العربية بحدودها الطبيعية.

(٤٥) (شا) في الأكادية بقيت لتعني (ذا - ذو - ذي) ، أما شي وشو فقد أخذتا مدلول هي وهو.(شي - هي ، شو - هو).

(٤٦) القرآن الكريم، سورة الحديد، آية ٢٠.

(٤٧) المصدر السابق، سورة آل عمران، آية ١٩٣.

(٤٨) الحموي ياقوت، معجم البلدان، ص ٣١٥ + ٣١٨.

(٤٩) البستاني بطرس، كتاب دائرة المعارف ، بيروت، دار المعرفة، المجلد ٨، ص ٢٩.

(٥٠) البستاني بطرس، المرجع السابق، ص ٣٣.

(٥١) يقول د. جهاد عبود أن كلمة مشق أيضاً مركّبة من ماء + شقّ = مَشَق، وهي تحمل معنى طبيعياً أيضاً.

و (مشقه) في العبرية تعني مزرعة.

(٥٢) البستاني بطرس، المرجع السابق، المجلد ٦ ، ص ٤٣٩.

(٥٣) محفوض محمود، تاريخ حرستا، دار قتيبة، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ص ٢٤.

(٥٤) المرجع السابق، تاريخ حرستا، ص ١٠.

(٥٥) القرآن الكريم، سورة النجم، آية ٥٨.

(٥٦) عن حميدو حمادة في ندوة تدمر وطريق الحرير ١٩٩٢.

(٥٧) هذا الوزن موجود بالقرآن الكريم في سورة المدثر بكلمة ناقور ،﴿ فإذا نقر في الناقور﴾ ٧٤ : ٨.

(٥٨) لفظ الجلالة اللا (الله) موجود بالآرامية في الاسم الآرامي لمدينة رام الله في فلسطين، وهي ذات مدلول ديني بمعني عَلْوَةُ الله (ارتفاع الله) من كلمة عالي، ونستعملها بعاميتنا بلفظ (اللا).

(٥٩) S.R. DRIVER-PREFACE-VI.

(٦٠) راجع : جونز أ. هـــ. م، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية روامانية، ترجمة د. إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ١٩٨٧.

(٦١) نكتبها سوريا بالألف وليس سورية بالتاء المربوطة بعد معرفتنا بأن الـــ (يا) هي لاحقة آرامية. راجع اللواحق فقرة (ك). كذلك فصل إشكاليه اللفظ، فقرة المنهج، رقم ٥ ، والحاشية التابعة لها.

(٦٢) قبيسي محمد بهجت، ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعنية وحتى السبئية والعدنانية، دار شمأل، دمشق، ١٩٩٩، اللاحقة (الميم)، ص ١٨٠.

(٦٣) عبد العال، المرجع السابق، ص ١٧.

(٦٤) حيث أن جذر (مرن) له معنىً آخر في المصريان. كما أن الواو هي حرف ساكن يجب كتابته.

(٦٥) مونان جورج، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة د. نجيب غزاوي، وزارة التعليم العالي، دمشق.
G.MOUNAN. LA LANGUISTIQUE DU XXe.SIECLE, p.U.F..PARIS 1972, p.7.

(٦٦) ابن منظمور، مادة : خَبطَ.

(٦٧) نقول أبجدية للاثنين وعشرين حرفاً المتمثّلة بـــ (أبجد هوّز حطّي كلمن سعفص قرشت). ونقول ألف بائية للثمان وعشرين حرفاً المتمثّلة في (ألف باء تاء ثاء جيم .. الخ حتى الياء).

(٦٨) محفل محمد، مدخل إلى اللغة الآرامية، دمشق، ١٩٨٧، ص ٣٨.

(٦٩) القرآن الكريم، سورة محمد، آية ٣٥.

(٧٠) وشب بالآرامية تعني جلس، وثب بالسبئية تعني جلس.

(٧١) حمادة حميدو، الصوت والتبدلات الصوتية في لغة إبلا، ١٩٩٠، إدلب، ص ٢.

(٧٢) طوير قاسم، أضواء جديدة على تاريخ بلاد الشام (تعريب)، ط ١ ، دمشق، ١٩٨٩، محاضرة عن بيليو فرانزا رولي، ص ٥٤.

(٧٣) THE ASSYRIAN DICTIONARY - VOLUME 3 -D -p. 28

(٧٤) مجلة سومر، الجزء الأول والثاني، المجلد ٣٢، ١٩٧٦، د. فوزي رشيد.

(٧٥) A.D.C. - V3 - D - p.17

(٧٦) A.D.C. - V3 - D - pp.17, 64

(٧٧) A.D.C. - V3 - D - p.17

(٧٨) A.D.C. - V3 - D - pp.17, 61, 62

(٧٩) A.D.C. - V3 - D - pp.134,157

(٨٠) مجموعة باحثين فرنسيين، دراسات أجاريتية، ترجمة نور الدين خضور، مراجعة وتقديم عدنان السوسو.

(٨١) ولتصبح ألف بائية تضاف إليها الأحرف التالية (ثخذ ضظـــغ).

(٨٢) قبيسي محمد بهجت، ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية، دار شمال، دمشق، ١٩٩٩، ص ١٣٢.

(٨٣) المرجع السابق، ص ٦٧٦.

(٨٤) الدواليبي معروف (أستاذ القانون الروماني بجامعة دمشق، رئيس وزراء سابق في الخمسينيات والستينيات في سوريا لعدة مرات) كتابة د: دراسات تاريخية في أصل العرب وحضارتهم الإنسانية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص ٣٤ و٣٥.

وكذلك : ابن منظور، لسان العرب، مادة عرب.

وكذلك : الفيروز آبادي، القاموس المحيط.

وكذلك : الزمخشري، أساس البلاغة.

وكذلك : الفيومي، المصباح المنير.

(٨٥) عباس إحسان، تاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٩٠، ص ٤٠٦.

(٨٦) قبيسي محمد بهجت، ص ٨٧.

(٨٧) ولفنسون، ص ١٩٠ ، ألا نلاحظ اللهجة العامية في كلمة كله بمعنى كلهم ونلفظها في عامياتنا (كلّو) وقد يكتبها البعض كله، فهل عاميات اليوم هي تطور من العربيات العدنانية (الفصحى) أم هي العربيات المحليات كالآرامية والكنعانية؟

(٨٨) ولفنسون، ص ١٣١.

(٨٩) يلاحظ أن صيغة الجمع المعرف الآرامي المثالية (يا) قد تُركت ولم تُتّبع في كلمة ملوكا حيث جمعها الآرامي المثالي هو ملكيا – الملوك. علماً أن جمع النكرة هو ملكين وحينما تدخل أداة التعريف العربية الآرامية (الألف بآخر الكلمة) تحذف النون وتسكن مكانها فتصبح ملكيّا.أما هنا: فصيغة الجمع مثل العربية العدنانية ملوك بدلاً من ملكين إنما حافظت على أداة التعريف الألف فأصبحت ملوكا وهذا يهمنا في معرفة تدوين تاريخ تطور اللغة لأنها بالنسبة لنا هي أول إشارة إلى جمع التكسير في الآرامية.

(٩٠) حنا يوسف فضلو فرنسيس (حنا فضلو) الآرامية المحكية، دمشق ١٩٩٢ ص ٣٨. علماً أن (ﭘي) موجودة في العدنانية مع قلّة باستعمالها ومنها جاءت (التي).

(٩١) مرعي عيد، التاريخ القديم مطبعة الاتحاد، دمشق (١٩٩٠ – ١٩٩١) ، ص ١٥٧.

(٩٢) تمويو وم = mu [cuneiform sign] وهي تقابل التنوين في حالة الرفع بالعدنانية : RICHARD. CAPLICE, P.20

(٩٣) المرجع السابق ، ص ٤.

الأكادية القديمة الأولى :	٢٥٠٠ – ١٩٥٠ ق.م
الأكادية القديمة (البابلية/ الآشورية) :	١٩٥٠ – ١٥٣٠ ق.م
الأكادية الوسيطة :	١٧٥٠ – ١٠٠٠ ق.م
الأكادية الحديثة :	١٠٠٠ – ٦٠٠ ق.م

الأكادية المتأخرة (الارامية الكلدانية) : ٦٢٥ ق.م – ٧٥ ب. م

بترصف في هذا التقسيم نجد ما ذهب إليه المستشرقون لكنها لغة واحدة بلهجات متعددة ومتطورة جزئياً.

(٩٤) ولفنسون، ص ٢٤. ومن الطريف أن أضيف أن أحد النقاد قال : كيف لنا أن نستشهد بيهودي أمثال إسرائل ولفنسون، علماً بأن هذا النقش أصبح ملغياً، فأجبته ضمن مفهومه بالعبارة السابقة (الفضل ما شهدت به الأعداء) ثم أضفت متسائلاً: من له المصلحة في الغاء هذا النقش غير الصهيونية، وعلى أية حال لم يأت الباحث ولا أي عربي آخر بهذا النقش ،بل هم أنفسهم الذين أعلنوه، فإذا ندموا علي فعلتهم فهذا ليس شأننا.

(٩٥)RICHARD CAPLICE,P.37 حيث نجد : ig= ik = iq + eg = ek = eq

أي إمكانية قراءة هذا المقطع إج = إك = إق.

(٩٦) المرجع السابق، ص ٣٧.

(٩٧) مثل : ارم + ان = ارمان ، يُظنّ أنها حلب بلد الآراميين.

(٩٨) قبيسي محمد بهجت، بحث اللاحقة (ان) ص ١٥٩، وبحث الشّدة ص ٢٣٢.

(٩٩) عيد مرعي، ص ٣٤ - ٣٥، عن :

HIRSH H. DIE INSCHRIFTEN DER KONIGE VONE AGADE ARCHIV FUR ORIENTFORCHUNGEN,20(1936.S37)

(١٠٠) THE ASSYRIAN DICTIONARY,vol.10,p.131

(١٠١) ولفنسون اسرائيل، تاريخ اللغات السامية، دار القلم، ١٩٨٠، ص ٢٤.

(١٠٢) هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة الأحاديث عن الإغريقية، د. محمد صقر خفاجة، قدّم لها وتولى شرحها د. أحمد بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧، فقرة ١٤١ ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(١٠٣) يسمى أيضاً نقش النمارة إلى جانب نقش امرىء القيس. ولفنسون، ص ١٩٠.

(١٠٤) محفّل محمد، المدخل إلى اللغة الآرامية، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٨٦ - ١٩٨٧، ص ٥.

(١٠٥) شوفان هو جندي فرنسي متعصّب لفرنسيته.

نشأة الأبجدية وانتشارها في منطقة الشرق الأدنى وأثرها الباقي حتى اليوم

محاضرة
أ.د عبد المنعم عبد الحليم سيد
أستاذ التاريخ القديم والآثار غير المتفرغ،كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

إن أساس فكرة الأبجدية هو ما يسمى في علم الكتابات القديمة « بالطريقة الأكروفونية»، من الكلمة اليونانية Acrophone ومعناها « المقدمة الصوتية» وتتلخص في اتخاذ الصوت الأول من نطق الاسم الدال على شكل العلامة ليكون مدلولا صوتيا مفردا للعلامة إذا دخلت في تركيب الكلمات. وهذه الطريقة تتبع في اشتقاق الأبجديات الصورية (التي حروفها على شكل صور) وكان المصريون القدماء أول من ابتكر هذه الطريقة منذ بداية تاريخهم فقد ظهرت في حروف بعض الكلمات على لوحة الملك « نعرمر » (نارمر) من أوائل فراعنة الأسرة الأولى (ما بين عامي ٣٤٠٠-٣٢٠٠ ق.م.)(شكل ١). وعلى أساس هذه الطريقة ابتكر المصريون القدماء أبجدية تتكون من ٢٤ حرفا هيروغليفيا (شكل ٢). غير أن الكتابة الهيروغليفية لم تقتصر على هذه الحروف الأبجدية الأربعة والعشرين بل استخدم المصريون القدماء أيضاً في كتابتهم الهيروغليفية عدداً كبيراً من المقاطع الصوتية الثنائية والثلاثية، واستخدموا الحروف الأبجدية كإضافات (مكملات صوتية) لهذه المقاطع (شكل٣) مما أفقد الحروف الأبجدية الهيروغليفية قيمتها الأبجدية .

وعندما استغل المصريون القدماء مناجم سيناء لتعدين النحاس والفيروز وخاصة في منطقة سيرابيط الخادم (الخريطة شكل ٢١)، واستخدموا عمالاً من الساميين من سكان المنطقة في عمليات التعدين، وأخذ هؤلاء الساميون يتأثرون بالحضارة المصرية ويقلدون المصريين في نظم حياتهم و عباداتهم (شكل ٤) و (شكل ٥)، يبدو أن بعض الموهوبين من هؤلاء الساميين حاولوا تعلم الكتابة الهيروغليفية ولكنها استعصت عليهم لكثرة علاماتها التي تصل إلى حوالي سبعمائة علامة، فاستعانوا بالطريقة الأكروفونية التي تعلموها من المصريين في تكوين أبجدية خاصة بهم استخدموا فيها بعض العلامات الهيروغليفية المصرية (شكل ٥)، وبذلك كونوا أبجدية من اثنين وعشرين (أو سبعة وعشرين) حرفاً بإرشاد المصريين، وكتبوا بها أدعية قصيرة للآلهة حفروها على صخور مناطق التعدين التي عملوا بها في سيناء، أو دونوها على تماثيل مصرية الطابع مثل تماثيل أبي الهول (شكل ٥)

هذه الأبجدية البسيطة التي يطلق عليها العلماء « Proto-Sinaitic Alphabet» ومعناها «الأبجدية السينائية المبكرة»، هي الأبجدية السامية الأولى، وهي أصل الأبجديات التي انتشرت في منطقة

الشرق الأدنى وليست الأبجدية الفينيقية التي كانت في الحقيقة من نتاج هذه الأبجدية. انتشرت الأبجدية السينائية المبكرة في أرجاء هذه المنطقة من سيناء شمالاً وجنوباً، وفي انتشارها أخذت تتجرد من الشكل الصوري، أي كتابة حروفها على أشكال صور التي أخذتها من الكتابة الهيروغليفية المصرية، وتتحول إلى أشكال خطية بالتدريج أي تسود حروفها خطوط ويتضح ذلك من تتبع مراحل تطورها في فلسطين بعد انتقالها إليها (شكل٦) حيث نشأت عنها الأبجدية الكنعانية المبكرة (شكل ٧)، التي تسمى أيضا «الأبجدية السامية الشمالية»، ثم الكنعانية المتأخرة (شكل ٨) التي نشأت منها بدورها الأبجدية الفينيقية التي اختفت من حروفها الأشكال الصورية تماما وتحولت إلى أشكال خطية صرفة (شكل ٩).

ومن الأبجدية الفينيقية نشأت ثلاث أبجديات ، هي : الآرامية ، والعبرية المبكرة و اليونانية (وهذه الأخيرة خارج نطاق دراستنا في الشرق الأدنى). ومن الآرامية نشأت أربع أبجديات هي العبرية المتأخرة (التي تسمى أيضا الخط المربع) (شكل ١٠) وقد انتحل اليهود هذه الأبجدية أثناء فترة السبي البابلي (بعد عام ٥٨٦ ق.م.) ونبذوا أبجديتهم العبرية المبكرة المشتقة من الفينيقية. ومن الآرامية نشأت أيضا الأبجدية السريانية التي انتشرت في سوريا والعراق ومازالت تستخدم حتى اليوم في نطاق محدود داخل بعض الكنائس والأديرة المسيحية. كذلك نشأت من الآرامية الأبجدية التدمرية نسبة إلى واحة تدمر في شمال شرق سوريا التي ازدهرت فيها دولة في القرن الثالث الميلادي كان من ملوكها الملكة المسماة «زنوبيا» عند الكتاب الرومان أو «الزباء» عند الكتاب العرب. كذلك نشأت من الآرامية الأبجدية النبطية وهذه الأخيرة نشأت منها الأبجدية العربية أو الخط العربي (شكل ١١) الذي دارت حول مكان نشأته آراء متعددة سوف نتناولها فيما بعد .

هذا كان نتاج انتقال الأبجدية السينائية المبكرة نحو الشمال، أما انتقالها نحو الجنوب فقد حدث عبر الطريق التجاري العظيم الذي كان يخترق غرب الجزيرة العربية ما بين اليمن وفلسطين (شكل٢١،١٢) ونتج عنه نشأة الأبجدية السامية الجنوبية التي تشمل الأبجديات السبئية — الحميرية و المعينية و القتبانية و الحضرمية نسبة إلى أسماء دول اليمن القديمة(الخريطة شكل ١٢)، وغيرها من أبجديات اليمن ، التي يجمعها مصطلح واحد هو «الخط المسند» أو بالتحديد «الخط المسند الجنوبي»، (شكل ١٣) والسبب في تسميته بالمسند ليس لأن حروفه تستند على الشرط الرأسية التي تفصل بين كلماته(شكل ١٤) كما ذهب بعض الباحثين (ولفنسون ١٩٨٠،ص ١٧٩) ولكن الحقيقة غير ذلك وهى أن كلمة مسند وردت في النقوش العربية الجنوبية بالصيغة «م س ن د ن» بمعنى «كتابة» أو «نقش».

والأدلة على انتقال الأبجدية السينائية المبكرة إلى اليمن هي : العثور على نقوش في شمال اليمن تبين تطور أحد الحروف السينائية المبكرة وهو حرف الألف الذي كان يكتب في السينائية المبكرة بشكل رأس ثور من الشكل الصوري إلى الشكل الخطى (شكل١٥) وهى نفس الظاهرة التي حدثت للحروف السينائية المبكرة في فلسطين، كذلك العثور على كسرة عليها حرفان من الخط المسند الجنوبي (هما حرفا الألف والحاء) في منطقة «تل الخليفة» الواقعة في شمال خليج العقبة (شكل١٦)، ثم العثور على نقش سبئى مبكر يرجع إلى مرحلة تكوين هذا الخط يظهر فيه التشابه الكبير بين حروفه وبين حروف الأبجدية السينائية المبكرة، فضلا عن التشابه بينهما فى الاتجاه من أعلى إلى أسفل في أعمدة رأسية (شكل ١٧).

ومن الخط المسند الجنوبي الذي يطلق على مجموع الأبجديات العربية الجنوبية (السبئية وغيرها) اشتق الخط المسند الشمالى (شكل ١٨) الذي يطلق على الأبجديات العربية الشمالية التي نشأت في غرب ووسط وشمال الجزيرة العربية وهى اللحيانية (نسبة إلى دولة لحيان التي قامت في واحة العلا بالحجاز)، والثمودية (التي سميت كذلك بسبب تكرار الأسماء «ثمودو» و«ثمودى» في نقوشها)، والصفائية (نسبة إلى جبل الصفا في جنوب سوريا حيث عثر العلماء على أول نقوش لهذه الأبجدية).

كما انتقل الخط المسند الجنوبي إلى الحبشة مع المهاجرين السبئيين الذين هاجروا إلى الحبشة ونقلوا مظاهر حضارتهم معهم ومن بينها الخط المسند أو الأبجدية السبئية، وبمرور الوقت تلاشت مظاهر حضارتهم في الخضم الحبشي و لم يتبق منها غير الخط الذي مازال يحتفظ بأشكال الخط المسند السبئى (شكل ١٩) وكان من العوامل التي ساعدت العلماء على حل رموز الخط المسند السبئى (أو المسند الجنوبي).

وكما هو معروف فقد اندثرت جميع هذه الأبجديات أمام الأبجدية العربية أو الخط العربي ، خط القرآن الكريم، كما اندثرت لغاتها أمام اللغة العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم و لم يتبق من هذه الأبجديات في منطقة الشرق الأدنى، بالإضافة إلى الأبجدية العربية أو الخط العربي، إلا العبرية المتأخرة أو الخط المربع، والسريانية في نطاق محدود ثم الأبجدية الأثيوبية أو الجعزية، وهذه الأبجديات الأربعة هي الأثر الباقي حتى اليوم من الأبجدية السينائية البكرة المشتقة من الهيروغليفية المصرية، سلفها البعيد.

مشكلات نشأة الأبجدية العربية أو الخط العربي

سبب هذه المشكلات هو تعدد الآراء بشأن اشتقاق حروف الأبجدية العربية أو الخط العربي وموطن نشأة هذا الخط، وذلك نتيجة للروايات المتعددة للمؤرخين المسلمين في العصور الوسطى.

وأغلب هذه الروايات ثبت خطؤها بعد توصل العلماء في عصرنا الحاضر (ابتداء من القرن التاسع عشر) إلى حل رموز الكتابات العربية القديمة المدونة بالخط المسند وبالخط النبطي وغير ذلك.

ويمكن أن نحصر هذه الروايات الخاطئة في روايتين رددهما الكثير من هؤلاء المؤرخين، أولها أن الخط العربي سمى بخط « الجزم » لأنه جزم أو اقتطع من المسند الحميرى (خليل نامي ١٩٣٥، ص ٣ عن الفيروزبادى، القاموس المحيط، جزء ٤ ص ٨٨). وخطأ هذه الرواية واضح بسبب الاختلاف الكبير بين الخط المسند الحميرى، وهو مرحلة متأخرة من الخط المسند السبئى ولا يختلف كثيرا عنه، وبين الخط العربي المبكر (تقارن الأشكال أرقام ١٥، ٢٠). والحقيقة إن هذه الرواية تنطبق على الخط الثمودى لأنه هو الذي اقتطع (أي اشتق) من الخط المسند كما تقدم القول ويغلب أن عرب مكة والمدينة كانوا يكتبون به قبل انتحالهم الخط العربي المشتق من الخط النبطي، إذ توجد نقوش ثمودية كثيرة محفورة على الصخر حول المدينة المنورة وبالقرب من مكة المكرمة، وتوجد أبيات من الشعر لرجل من أهل دومة الجندل يفتخر فيها على أهل مكة بقوله أن قومه ادخلوا إلى مكة الخط العربي (الذي يسميه الجزم، خطأ) فأغناهم بذلك عن الكتابة بالخط المسند قلم حمير الثقيل(جواد على، ١٩٧١، ص ١٦٣) وعلى ذلك فان هذا يرجح أن الخط الثمودى هو المقصود.

أما الرواية الثانية فقد جاء فيها أن الخط العربي أصله من الحيرة في العراق (انظر الخريطة شكل ١٣) وأن بشر بن عبد الملك الكندي أخ اكيدر صاحب دومة الجندل تعلمه من أهل الحيرة وأن حرب بن أمية تعلم هذا الخط من بشر هذا أثناء تجارته مع العراق، وأن بشر سافر مع حرب إلى مكة حيث تزوج الصهباء ابنته، ومن حرب تعلم ابنه سفيان ثم حفيده معاوية وبذلك انتشر الخط العربي في مكة (جواد على ١٩٧١، ص ١٥٨، عن الفهرست لابن النديم ص ٦).

وخطأ هذه الرواية واضح لأنه يتضمن نسبة أصل الخط العربي للخط السرياني الذي كان سائدا في الحيرة قبل الإسلام فهناك اختلاف كبير بين أشكال حروف الخط العربي المبكر وبين الخط السرياني وقد أوضحت هذه الاختلافات في بحث سابق (عبد المنعم عبد الحليم ١٩٩٣، ص ٢٣٥ وشكل ٢٤). ومن الواضح أن سبب نسبة الكتاب العرب أصل الخط العربي للخط السرياني أن الكوفة التي أسست سنة ١٧ هـ بالقرب من الحيرة، نشأ بها شكل من الخط العربي كتبت به المصاحف واشتهر بالخط الكوفي ويبدو أنه تأثر في بعض أشكاله بالخط السرياني الذي كان سائدا في الحيرة.

إذن أين نشأ الخط العربي ؟

رغم عدم اختلاف العلماء بأن الخط العربي اشتق من الخط النبطي إلا أنهم اختلفوا بشأن الموطن الذي نشأ فيه، فيرى المستشرقون أنه نشأ في الشام معتمدين في ذلك على عدة نقوش نبطية في الشام ظهرت فيها تأثيرات لغوية عربية فضلا عن اقتراب بعض حروفها من حروف الخط العربي المبكر. وأقدم هذه النقوش هو نقش النمارة (من الاسم القديم «ن م ر ت» لقصر في المنطقة) في منطقة «حوران» وهى جبل الدروز الحالية في جنوب شرق سوريا(الخريطة شكل ٢١) ويرجع هذا النقش لعام ٣٢٨ ميلادية، ثم نقوش متأخرة كثيرا عن ذلك أحدها في «حران» في نفس المنطقة ويرجع لعام ٥٦٨ ميلادية، والثاني في «أم الجمال » في نفس المنطقة أيضا وهو من القرن السادس الميلادي.

وقد اعتمد المستشرقون أساسا على نقش النمارة بسبب قدمه بالنسبة للنقشين الآخرين. وهذا النقش مدون بالخط النبطي وباللغة النبطية على شاهد قبر ملك يدعى امرؤ القيس بن عمرو (« م رأ ل ق ى س / ب ر / ع م رو» في النص) والتأثيرات العربية في النقش واضحة في بعض العبارات مثل « م ل ك م/ ا ل ع ر ب / ك ل هـــ» أي « ملك العرب كلهم» وقد استدل المستشرقون من وجود أداة التعريف « ال» التي تنفرد بها اللغة العربية عن سائر اللغات السامية (في اللغة النبطية المكتوب بها النص فان أداة التعريف هي حرف الألف في نهاية الكلمة) بالإضافة إلى ورود عدد من الكلمات العربية الصرفة مثل الكلمات المذكورة، ووجود تشابه بين بعض حروفه وبين حروف الخط العربي المبكر، استدلوا من كل ذلك على أن منطقة حوران هي موطن نشأة الخط العربي.

غير أن البحوث التي أجراها العلماء العرب وفى مقدمتهم المرحوم الدكتور خليل يحيى نامي أثبتت أن التأثيرات العربية اللغوية والتشابه مع حروف الخط العربي المبكر توجد في نقش نبطي يسبق نقش النمارة بحوالي ستين عاما (خليل نامي ١٩٣٥، ص ١٠٤) وهذا النقش محفور على واجهة مقبرة لسيدة تدعى «رقوش برت عبد منوتو » (أي رقوش بنت عبد مناة بلغتنا العربية) في منطقة مدائن صالح (المسماة بالحجر في القرآن الكريم) ويرجع لعام ٢٦٧ ميلادية.

ومن الغريب أن المستشرقين لم ينتبهوا للتأثيرات العربية الواضحة في هذا النقش رغم أنه منشور في أحد المراجع الرئيسية المنشورة باللغة الفرنسية عن نقوش الحجاز القديمة منذ بداية القرن العشرين (JS Tome I, 1909, No.17) ثم أعيد نشره في عام ١٩٣٠ في كتاب مستشرق آخر(Cantineau, Les Nabteen,T.II,p.38) ففضلا عن أن عدد الكلمات العربية في هذا النقش يزيد على عددها في نقش النمارة (عبد المنعم عبد الحليم ١٩٩٣، ص ٢٤٤)فان أداة التعريف

العربية «ال» تكررت فيه، وعلى هذا فمن المنطقي أن يكون الخط العربي قد نشأ في الحجاز وبالذات في منطقة مدائن صالح التي كانت بمثابة العاصمة الثانية للأنباط بعد البتراء والتي تمركزوا فيها بعد إسقاط الرومان لعاصمتهم البتراء في عام ١٠٦ ميلادية مما جعلهم يرتدون لأصلهم العربي بعد أن كانوا قد ابتعدوا عنه بانتحالهم اللغة الآرامية والخط الآرامي ليمكنهم التعامل مع أسواق الشام، وهناك روايات عن ترددهم على مكة للتجارة وربما ساعد على تقاربهم من أهل مكة عبادتهم نفس الآلهة التي كان الأنباط يعبدونها مثل ذو الشرى و مناة واللات وهبل وهى عندهم دوشارا ومنوتو ولات وهبلو على التوالى، بل إن أسماءهم الشخصية هي نفس أسماء عرب مكة مثل أوس وقصى وعبيد وزيد، فهي عند الأنباط أو سو وقصيو وعبيدو وزيدو على التوالى (الواو النهائية تلحق بأسماء الأعلام في اللغة النبطية). من كل ذلك فان من المنطقي أن يكون أهل مكة قد اخذوا خطهم عن الأنباط نتيجة لهذه العلاقات الوثيقة.

أما عن وجود نقوش في منطقة حوران يبدو فيها الطابع العربي فالمرجح أنها نتيجة تردد عرب مكة على هذه المنطقة في رحلة الصيف فقد كانت نقطة تجمعهم هي مدينة « بصرى» المركز الرئيسي في منطقة حوران (الخريطة شكل ٢١)كما جاء في السيرة النبوية.

وقد دفع العثور على نقش في منطقة «زبـــد» جنوب شرق حلب يرجع لعام ٥١١ ميلادية يظهر فيه الطابع العربي بوضوح، دفع ذلك بعض المستشرقين من أصحاب الرأى القائل بأن الخط العربى نشأ فى منطقة حوران ـــ إلى الخروج برأى غريب هو أن الخط العربى بعد نشأته فى منطقة حوران انتقل نحو الشمال حيث توجد زبد ومنها اتجه شرقا إلى شمال العراق ثم جنوبا إلى الحيرة ومنها إلى الحجاز(Abott 1939, p.30)، (الخريطة شكل ٢١) بالطبع من الصعب تصور ذلك وربما كان السبب في هذا الرأي الغريب عدم انتباه أصحاب هذا الرأي للتأثيرات العربية القوية في نقش رقوش بنت عبد مناة في مدائن صالح.

كيف كان العرب يضبطون قراءة الكتابات العربية ؟

لعلنا نطرح هذا السؤال عندما نرى نقشا مكتوبا بالخط العربي المبكر الذي يخلو من علامات التشكيل ونقط الإعجام (شكل ٢٣)، الحقيقة أن العرب فى مجتمعاتهم القبلية المحدودة داخل الجزيرة العربية لم يكونوا فى حاجة إلى مثل هذه العلامات فقد كان الصغير يتوارث شفاها النطق الصحيح عن الآباء ولكن عندما خرج العرب إلى خارج شبه الجزيرة العربية ونشروا الإسلام بين الشعوب الأجنبية الذين كانوا يسمونهم «الموالى»، نشأت المشكلة المسماة «باللحن» أي خطأ هؤلاء الموالى في نطق الآيات القرآنية، وأشهر مثال لذلك عندما نطق أحد الموالى في مسجد البصرة الآية القرآنية « إن الله بريء من المشركين ورسوله» بكسر اللام وبذلك عطف كلمة

(الرسول) على كلمة (المشركين) وصحتها بفتح اللام أي عطف كلمة (الرسول) على كلمة (الله)، فنشأت بذلك الرغبة في علاج هذه المشكلة، وعالجها «أبو الأسود الدؤلى» (المتوفى عام ٦٩ هجرية) وذلك بوضع نقط حمراء فوق الحروف للفتحة فوق وسط الحرف، وللضمة على يسار الحرف، وأسفل الحرف للكسرة. وبذلك نشأت نقط التشكيل.

ثم جاء اثنان من تلاميذه هما «نصر بن عاصم الليثى» و « يحيى بن يعمر العدواني »، وكان ذلك في العصر الأموي، في أيام « عبد الملك بن مروان» (٦٥ — ٨٦ هجرية) وأضافا نقط الإعجام (أي التي تميز الحاء من الخاء و الذال من الدال ،وهكذا..) فوق الحروف أو تحتها بلون أسود هو لون الخط.

وقد يعترض البعض على ذلك بأن نقط الإعجام لم تكن من ابتكار تلاميذ « أبو الأسود الدؤلى» إذ وجدت كتابات بالخط العربي المبكر سابقة لعصرهما عليها نقط إعجام وهى كتابة على بردية وجدت في بلدة إهناسيا بصعيد مصر ترجع لعام ٢٢ هجرية، ونقش على الصخر عند أحد السدود بالقرب من مدينة الطائف بالسعودية يرجع لعام ٥٨ هجرية (شكل ٢٣).

وللرد على ذلك نقول إن نقط الإعجام أدخلها تلاميذ «أبو الأسود الدؤلى» على كتابة المصاحف لضبط قراءتها والتي كانت تخلو منها رغم معرفة العرب بنقط الإعجام كما تدل على ذلك هاتان الكتابتان، وربما أخذت فكرة تنقيط الحروف من الخط السرياني الذي كان سائدا في الحيرة ، وإن كانت وظيفة هذه النقط مختلفة عن وظيفة نقط الإعجام في الخط العربي. ويرجع البعض تأخير إدخال نقط الإعجام على كتابة المصاحف بما ورد في رواية»«لابن عباس بن مسعود» من أن العلماء أوصوا بعدم استخدام نقط الإعجام في كتابة المصاحف لكي يبذل المتعلمون جهدا في فهم معاني الآيات (جواد على ١٩٧١، ص ١٨٦)

وهكذا استخدم في المصاحف في العصر الأموي نوعان من النقط، أحدها بلون أسود هو لون الخط وهى نقط الإعجام، والنوع الآخر بلون أحمر هي نقط التشكيل مما جعل نساخ المصاحف يضطربون في كتابتها أحيانا، فقام «الخليل بن أحمد الفراهيدى» فى العصر العباسي (توفى سنة ١٧٠ هـ) بتغيير نقط التشكيل الحمراء إلى حروف ذات مدات فجعل الفتحة ألفا صغيرة مائلة فوق الحرف ، والكسرة رأس ياء صغيرة ممدودة أسفله، والضمة واو صغيرة وجعلها بلون الخط — أي اللون الأسود — (الحقيقة أن الخليل الفراهيدى أضاف خمس علامات أخرى غير العلامات المذكورة هي السكون والشدة والمدة والوصلة والهمزة التي لم نذكرها توخيا لتبسيط الأمر على القارئ). وبذلك أصبح المصحف يحتوى على علامات

تشكيل ونقاط إعجام بنفس لون حروف الكتابة.

وقد جاء بعد الخليل الفراهيدى من حذف رأس بعض العلامات مثل الكسرة التي كانت رأسها على شكل الياء، فحذفت الياء وبقيت الشرطة فقط، وبذلك صارت المصاحف تحتوى على نقط إعجام وشرط تشكيل واستمرت هذه الطريقة حتى اليوم (الفعر ١٩٨٤،ص٦٦ — ٧٣).

أولاً - المراجع العربية

مُلاحظة اتبع في الإشارات لهذه المراجع النظام المعروف بنظام Harvard Reference System، ويتلخص في الإشارة إلى المرجع في صلب البحث باسم المؤلف وسنة الطبع ورقم الصفحة فقط. ويمتاز هذا النظامْ بأنه يوفر المساحة الكبيرة التي تشغلها بيانات المراجع في النظام التقليدي المعروف. فضلاً عن تركيز انتباه القارئ في متابعة البحث وعدم تشتيت هذا الانتباه لمتابعة الإشارات للمراجع في أسفل الصفحات أو في نهاية البحث كما هو الحال في النظام التقليدي .

١- الفعر ١٩٨٤. محمد فهد بن عبد الله الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام حتى مُنتصف القرن السابع الهجري، دار تهامة للنشر، جدة.

٢- جواد علي ١٩٧١. جواد علي، المُفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثامن، بيروت.

٣- خليل نامي ١٩٥٣. خليل يحيى نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، بحث منشور في مجلة كلية الآداب — جامعة القاهرة، العدد الأول.

٤- صلاح الدين المنجد ١٩٧٩. دراسات في تاريخ الخط العربي إلى نهاية العصر الأموي، بيروت، دار الكتاب الجديد.

٥- عبد المنعم عبد الحليم ١٩٩٣. عبد المنعم عبد الحليم سيد، الأبجديات العربية القديمة ونشأة الخط العربي، بحث منشور في كتاب البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، الإسكندرية .

٦- عبد المنعم عبد الحليم ١٩٩٤. عبد المنعم عبد الحليم سيد، « الأبجدية الأولى وانتشارها في شرق البحر المتوسط « كتاب بحوث مؤتمر الإسكندرية الدولي حول التبادل الحضاري بين شعوب حوض البحر المتوسط عبر التاريخ (٥١-٩١ يناير ٤٩٩١)،كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.

٧- ولفنسون ١٩٨٠. إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، بيروت، دار القلم.

ثانياً - المراجع الأجنبية

1- Abott,N(1939), The Rise of the North Arabic script Oriental Institute Publications vol. 50, Chicago.

2- Albright WF (1969) Albright, W.F., The Proto-Sinaitic Inscriptions and Their Decipherment. Harvad heological Studies.

3- Cantineau J (1930-32) Le Nabateen. 2 vols. Paris.

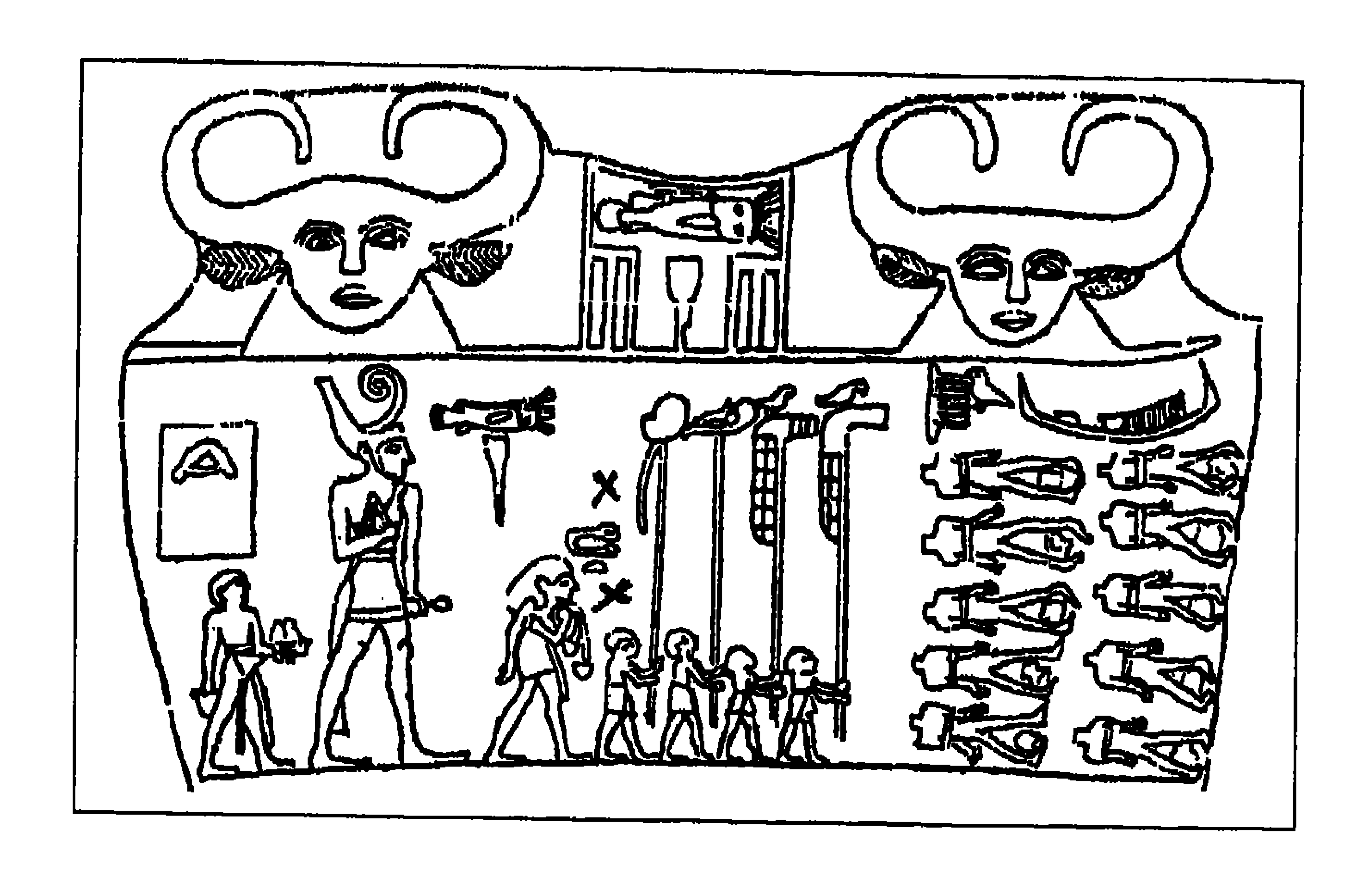
4- Gardiner A (1916) The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet, J.Egypt. Arch., vol. 3.

5- Gardiner A (1962) Once Again the Proto-Sinaitic Inscriptions. J.Egypt.Arch.,vol.48.

6- Jamme A (1963) Preliminary Report on Epigraphic Research. Bulletin of the Schools of Oriental Research, London.

7- Jensen H(1958).Sign, Symbol and Script, 3rd. ed. Transl. From the German by G.Unwim ,London.

8- Naveh J (1987) The Early History of Alphabet, London.



شكل(١) الجزء العلوي من ظهر لوحة الملك نعرمر وقد كتبت كلمة«ث ت» فوق الشخص الواقف أمام الملك وهى تتكون من حرفين أبجديين مشار إليهما بعلامتي (X) والحرف العلوي على شكل عقال للدواب هو نفس الحرف في آخر العامود الثاني في شكل (٢) والذي يسمى في اللغة المصرية القديمة « ث ث ت ». والطريقة الأكروفونية واضحة في رسم هذا الشكل ليدل على حرف الثاء ، وكلمة «ث ت» صارت في العصور التالية من التاريخ الفرعوني « ث ا ت ى » بمعنى وزير. وأسفل حرف الثاء هذا رسم حرف التاء بشكل رغيف خبز الذي يسمى في اللغة المصرية القديمة « ت ا » أو « ت».

العلامة	الدلالة التصويرية	الدلالة الصوتية		العلامة	الدلالة التصويرية	الدلالة الصوتية	
		بالعربية	بالإفرنجية			بالعربية	بالإفرنجية
	عقاب	أ ، ا	ꜣ		قصبة مزهرة	إ ، ي	i
	ساعد	ع	ʿ		فرخ سمان	و	w
	ساق	ب	b		مقعد	پ	p
	حية ذات قرنين	ف	f		بومة	م	m
	موجة ماء	ن	n		فم	ر	r
	فناء دار	هـ	h		ضفيرة من الكتان	ح	ḥ
	مشيمة السيدة	خ	ḫ		بطن حيوان ثدي وذنبه	غ	ẖ
	مزلاج (ترباس الباب)	ز	s		منديل مطوى	س	s
	حوض ماء	ش	š		جانب الكثيب (= التل من الرمل)	ق	ḳ
	سلة ذات أذن	ك	k		حمالة زير	ج	g
	رغيف خبز	ت	t		عقال للدواب	ث	ṯ
	يد	د	d		ثعبان	چ	ḏ

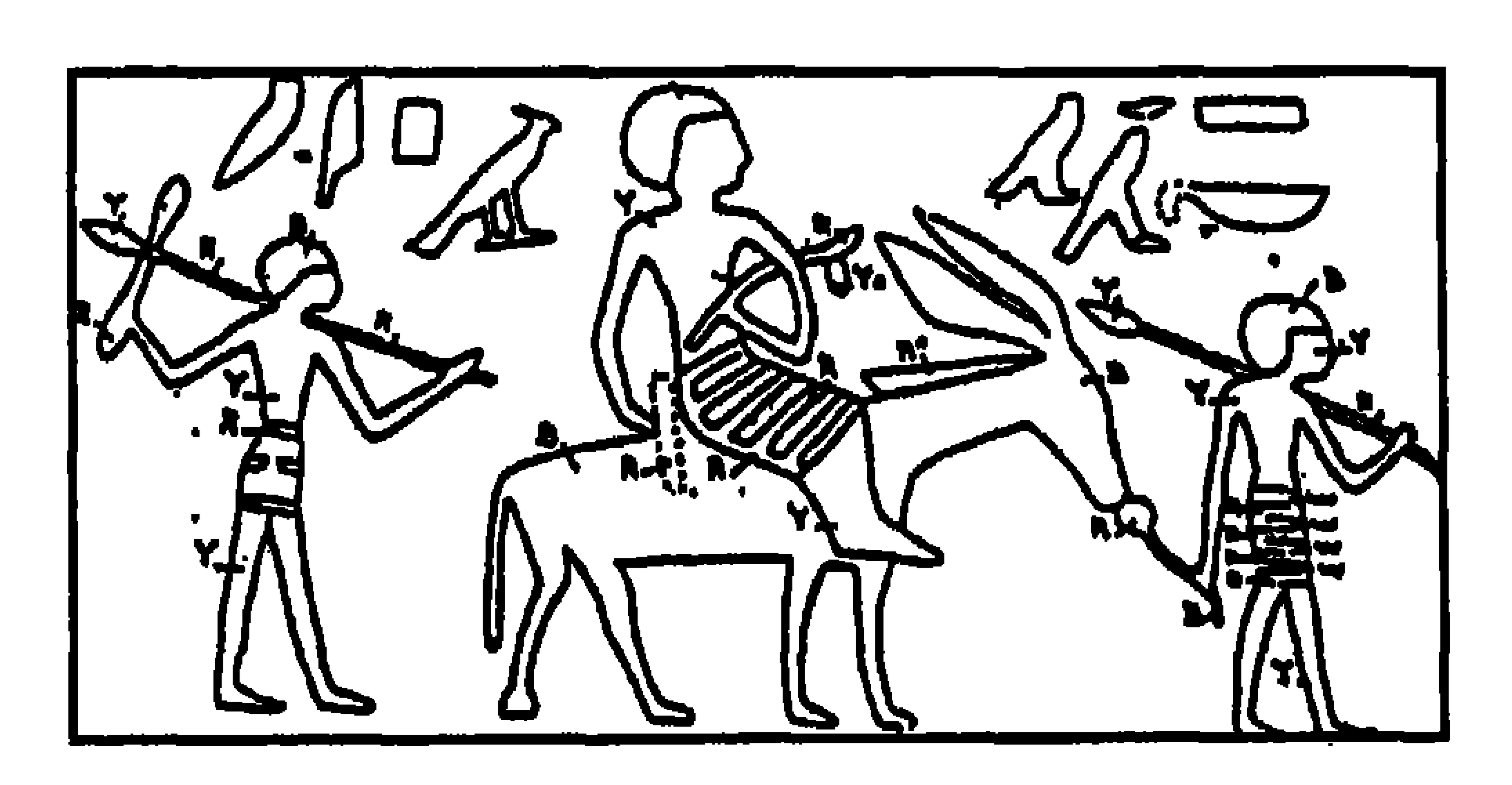
شكل (٢) الأبجدية المصرية الهيروغليفية وقد اشتقت أغلب حروفها بالطريقة الأكروفونية مثل حرفي الثاء والتاء المذكورين في شكل (١) وأيضا حرف «غ » وأصله « غ ت » بمعنى بطن حيوان وشكل الحرف يمثل بطن حيوان. وكذلك حرف « ج » وأصله « ج ن » بمعنى قاعدة إناء أو حمالة زير، والشكل نفسه يمثل قاعدة إناء. وقد تعلم الساميون سكان سيناء هذه الطريقة من المصريين واستخدموها في ابتكار أبجديتهم (السينائية المبكرة) التي أخذوا حروفها من العلامات الهيروغليفية المصرية.



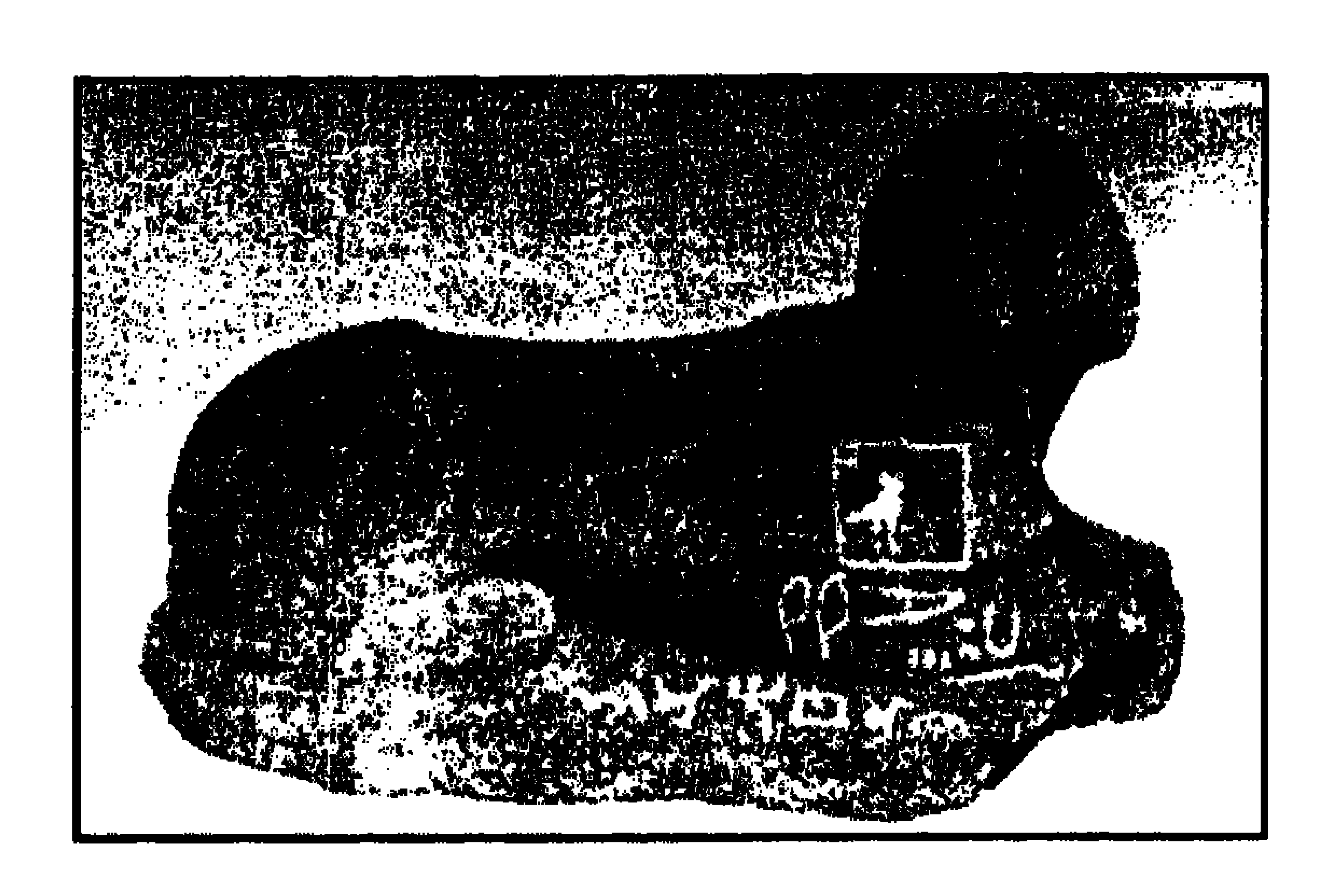
شكل (٣) خرطوش (خانة تحوى اسم الملك) « توت – عنخ – إمن (آمون) » وهو مثال لتوضيح كيف جمع المصريون بين الحروف الأبجدية وهى الألف (١) ، والنون (٣) ، والتاء (٤ ، ٦)، والواو (٥) وبين العلامات المقطعية الثنائية وهى « من » (٢)، والثلاثية وهى « عنخ » (٧).

ويلاحظ أن العلامة « من» المقطعية (٢) أضيف إليها حرف النون الأبجدي (٣) كمكمل صوتي لا ينطق مما يجعل من لا يعرف الهيروغليفية جيدا ينطق العلامة «م ن ن » بدل من « م ن » وهذه الطريقة أفقدت الحروف الهيروغليفية قيمتها الأبجدية.

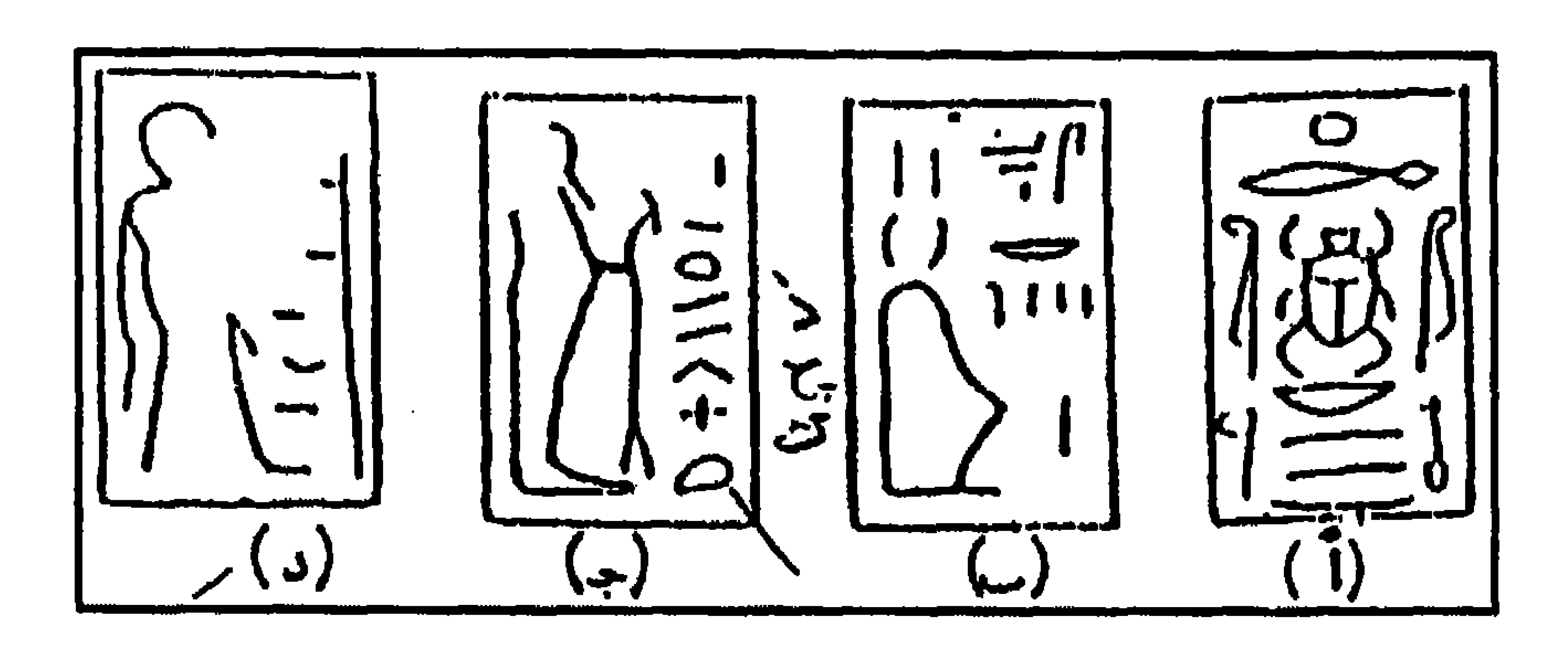




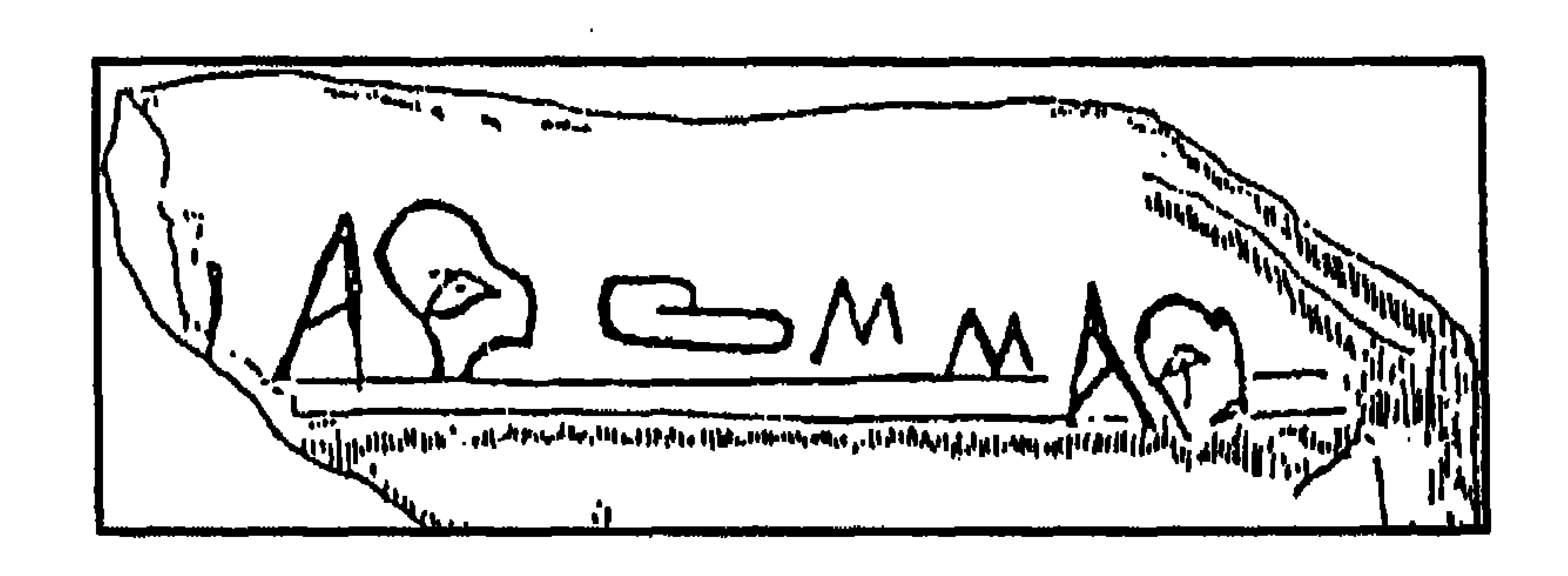
شكل (٤) الساميون سكان سيناء في الصورة العليا ظهروا بملامحهم المميزة كما صورهم المصريون على الآثار المصرية (على جدران مزار مقبرة الأمير خنوم – حتب في بني حسن بالمنيا من عصر الأسرة الثانية عشرة) بإطلاق لحاهم وبأرديتهم الطويلة المزركشة، وهم بذلك يختلفون عن المصريين الذين صوروا أمامهم بالهيئة المصرية المألوفة (حلق اللحية وارتداء النقبة). وفى الصورة السفلى يظهر هؤلاء الساميون في رسوم معبد سيرابيط الخادم بسيناء، وقد حلقوا لحاهم، وارتدوا النقبة المصرية القصيرة، أي اتبعوا العادات المصرية الدنيوية، وباتباعهم هذه العادات والعادات الدينية المصرية أيضا (كما سنوضح بعد) تغلغلت الحضارة المصرية في ثقافتهم، وكان في مقدمتها الكتابة المصرية الهيروغليفية التي اشتق هؤلاء الساميون أبجديتهم منها بإرشاد المصريين، فكانت أقدم أبجدية سامية في التاريخ, اصل أبجديات الشرق الأدنى.



شكل (٥) تمثال أبو الهول المؤنث (عثر عليه في المعبد المصري بمنطقة سيرابيط الخادم بسيناء) وقد دونت عليه كتابتان إحداهما هيروغليفية (شكل الطائر الذي داخل مربع والسطر أسفله)، والأخرى سينائية مبكرة (السطر السفلي) وهى ترجمة للنص الهيروغليفي المدون أعلاه. ومن الواضح أن أحد الساميين كرس التمثال لكل من الإلهة المصرية «حتحور» والإلهة السامية « عشتارت » لأن ترجمة النص الهيروغليفي هي «محبوب حتحور ربة الفيروز» والنص السينائي يقرأ « ماه بعلت » أي « محبوب بعلت »، و« بعلت» كان لقبا للإلهة السامية «عشتارت » التي عبدها الساميون في سيناء كمرادفة للإلهة المصرية «حتحور» التي كانت الإلهة الحامية لمناجم الفيروز في منطقة سيرابيط الخادم (عند المصريين) . وقد مكنت العبارة المصرية وترجمتها السينائية المبكرة العالم «جاردنر» من حل رموز الكتابة السينائية المبكرة (Gardiner 1916, pp. 1-16).



شكل (٦) ختم على شكل مكعب وجد في تل الدوير في جنوب فلسطين، وعلى أحد أوجهه (أ) اسم الفرعون « أمنحتب الثاني » الذي عاش حوالي عام ١٤٠٠ ق.م، وعلى وجه آخر (ج)كتابة سينائية مبكرة ووجود هذه الكتابة إلى جانب الكتابة الهيروغليفية بالإضافة إلى وجود هذا الختم بالشام يدل على انتقال الكتابة السينائية المبكرة إلى الشام منذ عصر مبكر قبل معرفة الفينيقيين للحروف الأبجدية.



شكل (٧) نقش بالأبجدية الكنعانية المبكرة وجد في منطقة تل بلاطة (بالقرب من نابلس بفلسطين)، ويلاحظ أن بعض علامات النقش أخذت تتجرد من الشكل الصوري ويتضح ذلك في حرف الألف (أول حرف من اليسار) والذي كان في الأبجدية السينائية المبكرة يرسم بشكل رأس ثور فقد غلب عليه هنا الشكل الخطي (لعله قريب من شكل حرف A الإنجليزي).

	رقم مسلسل	الحرف	الأبجدية السينائية المبكرة	الكنعانية المبكرة	المتأخرة	الأسماء المبكرة للحروف	معاني هذه الأسماء
X	١	أ		(16th)	(13th)	ʾalp-	ox-head
	٢	ب		(17th)	(13th)	bêt-	house
	٣	ج		(15th)	(12th)	gaml-	throw-stick
	٤	د			(10th)	digg-	fish
	٥	ذ		?		?	?
	٦	هـ			(10th)	hô(?)	man calling
	٧	و	?		(10th)	wô(waw)	mace
	٨	ز	?	(16th)	(10th)	zê(n-)	?
	٩	ح		(12th)	(10th)	ḥê(t-)	fence (?)
	١٠	خ		?		ba( )	hank of yarn
	١١	ط	?	(16th)	(10th)	ṭê(t-)	spindle?
X	١٢	ي		(13th)	(10th)	yad-	arm
	١٣	ك		(17th)	(13th)	kapp-	palm
	١٤	ل	?	(14th)	(13th)	lamd-	ox-goad
X	١٥	م		(16th)	(13th)	mêm-	water
X	١٦	ن		(16th)	(12th)	nahš-	snake
	١٧	س	?		(10th)	(šamk-?)	?
X	١٨	ع		(12th)	(10th)	ʿên-	eye
	١٩	غ		(16th)		ġa( )	?
	٢٠	ف			(10th)	piʾt-(?)	corner?
	٢١	ص			(10th)	ṣa(d-)	plant
	٢٢	ض	?	?		?	?
	٢٣	ق		(14th)	(10th)	qu(p-)	?
	٢٤	ر		(16th-14th)		na'š-	head of man
	٢٥	ش		(13th)	(10th)	ṯann-	composite bow
	٢٦	ث		?		?	?
	٢٧	ت	+	+ × (13th)		tâ(taw)	owner's mark

شكل (٨) جدول يوضح مراحل اشتقاق حروف الأبجدية الكنعانية المبكرة ، ثم الكنعانية المتأخرة من حروف الأبجدية السينائية المبكرة يظهر فيها بدء ابتعاد الحروف من الشكل الصوري إلى الشكل الخطي (Albright 1969, Fig. 1) وأيضا (Naveh 1987, pp. 26-27).

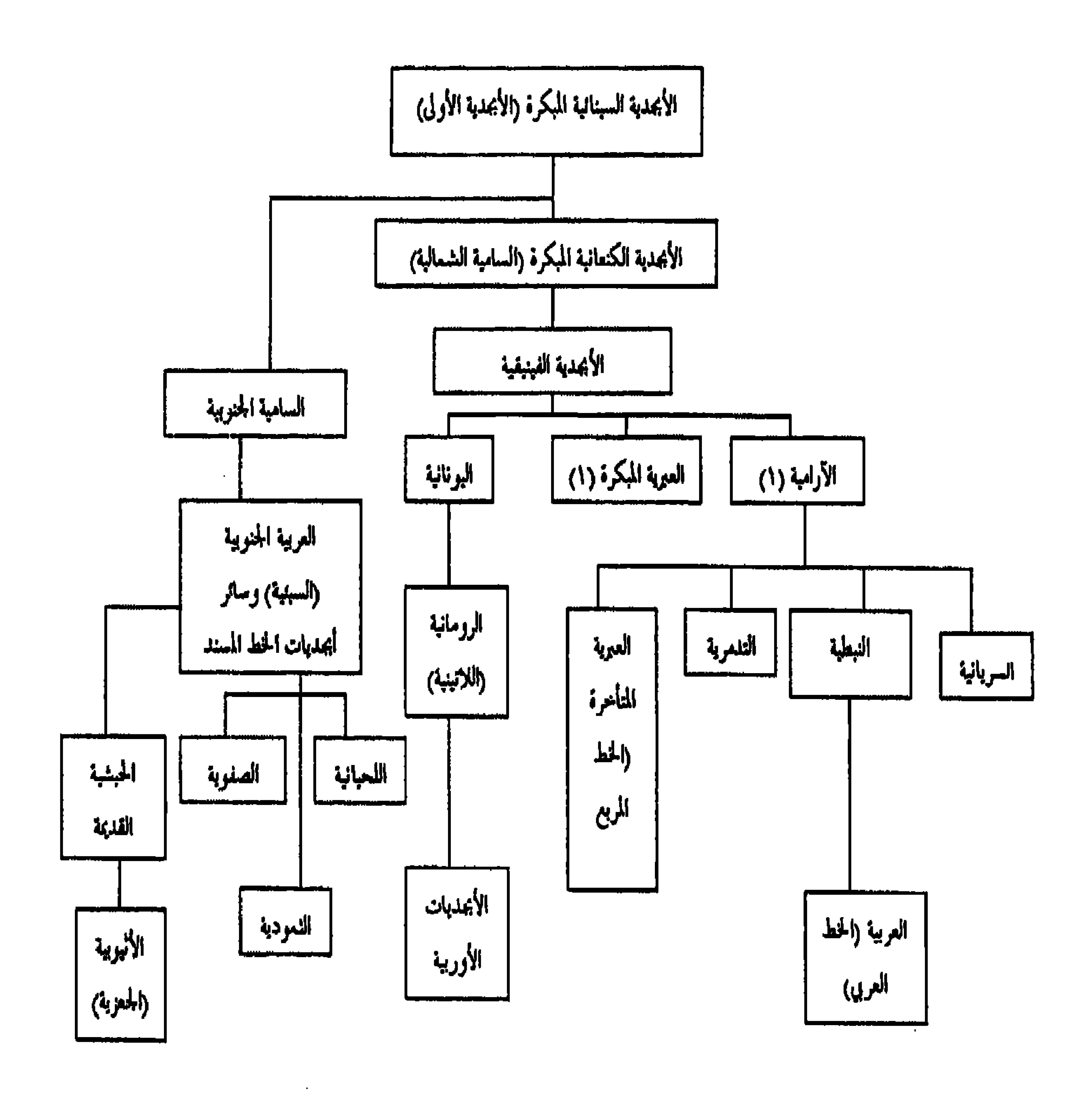
القراءة: ارن / ذ ب ع ل ت / ب ع ل / ب ن أ ح ر م / م ل ك ج ب ل / ل أ ح ر م /

الترجمة: (هذا) التابوت (عمله) بعل بن احيرام ملك جبيل (ببلوس) لاحيرام

أ ب هـ / ك ش ت هـ / ب ع ل م /

ابيه فليرقد للابد

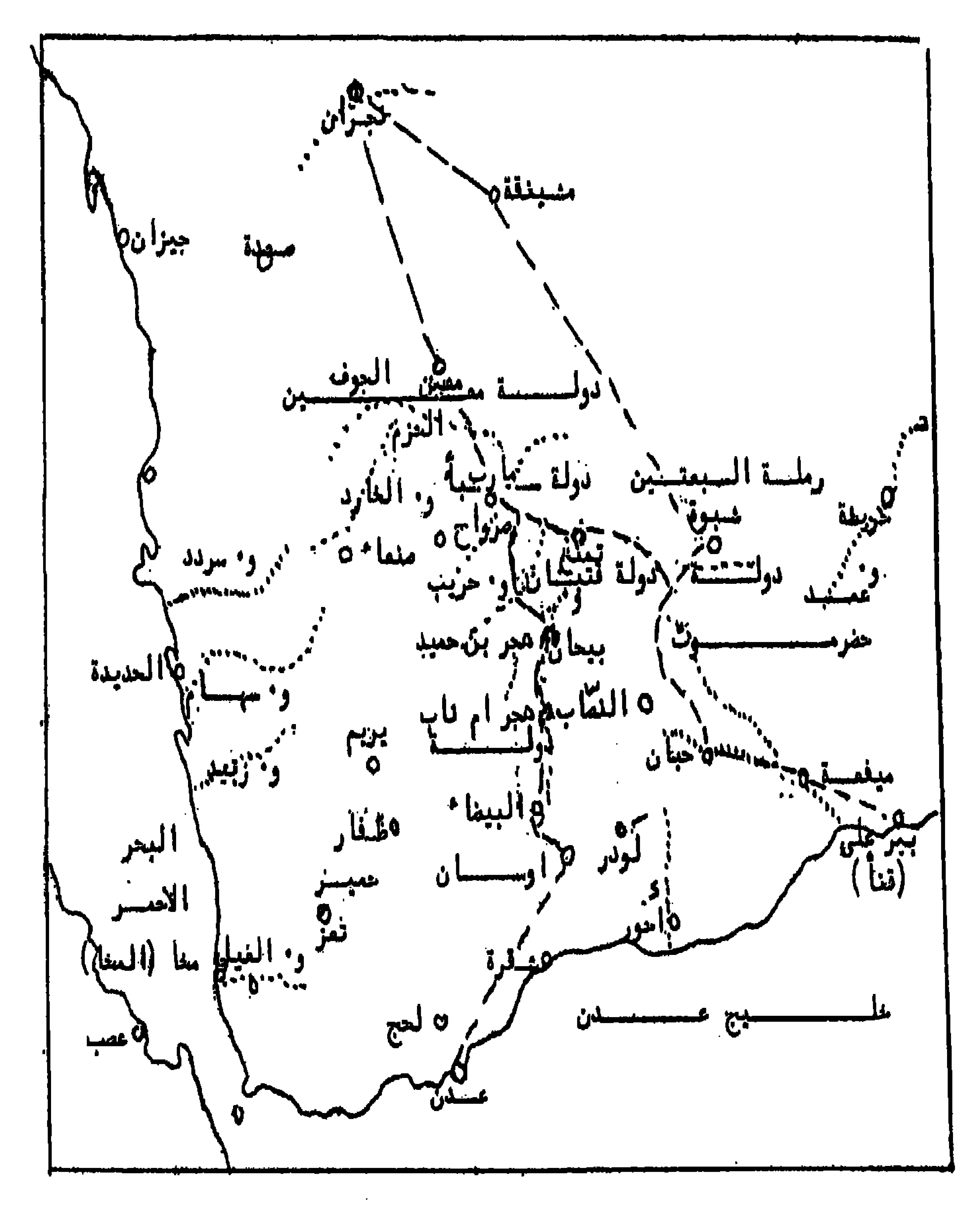
شكل (٩) نقش على تابوت « احيرام » ملك ببلوس الذي يعتبر أقدم نقش وجد على الأرض الفينيقية (ما بين القرنين ١١-١٠ ق.م)، ويلاحظ عليه اختفاء الشكل الصوري تماما من الحروف واتخاذ الشكل الخطى الصرف، وقد وضحت فوق بعض الحروف أصولها السينائية المبكرة مثل حرف الألف الذي كان على شكل رأس ثور، والثور يدعى «ألف» في اللغة الفينيقية، وحرف الباء الذي كان على شكل فناء بيت الذي يدعى «بيت» في الفينيقية، وحرف النون الذي على شكل ثعبان (نحش في الفينيقية)، وحرف الراء الذي على شكل رأس(«رش» في الفينيقية)، وحرف اللام الذي على شكل لجام ثور (لامد في الفينيقية)، وواضح أن اختيار الحروف تم على أساس الطريقة الأكروفونية التي ترجع في أصولها إلى السينائية المبكرة التي أخذتها بدورها من الهيروغليفية المصرية كما يُلاحظ أن نطق أسماء الحروف ما زال باقياً حتى اليوم في لغتنا العربية الفُصحى التي هي الأثر الباقي الواسع الانتشار من اللغات السامية القديمة.



شكل (١٠) شجرة الأبجديات القديمة والحديثة التي تفرعت من الأبجدية السينائية المبكرة وانتشرت في منطقة الشرق الأدنى عبر القرون (Jensen 1958, p.286 and Naveh 1987, p. 53) وجميع هذه الأبجديات اندثرت في منطقة الشرق الأدنى فيما عدا الأبجدية العربية (الخط العربي) والعبرية المتأخرة (الخط المربع) والسريانية في نطاق محدود بالإضافة إلى الأثيوبية واليونانية وغيرها من الأبجديات الأوروبية خارج نطاق منطقة الشرق الأدنى.

الصوت	آرامي (القرن الثامن)	آرامي (القرن السادس)	تدمري	نبطي	نبطي	عربي قديم	كوفي
أ '							
ب b							
ج g							
د d							
هـ h							
و w							
ز z							
ح h							
ط t							
ي y							
ك k							
ل l							
م m							
ن n							
س s							
ع '							
پ/ف p							
ص s							
ق q							
ر r							
ش š							
ت t							

شكل (١١) جدول يوضح تطور الأبجدية الآرامية في القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد، واشتقاق الأبجديتين التدمرية والنبطية منها خلال القرون المسيحية الأولى، ثم تطور النبطية في مرحلتين متعاقبتين واشتقاق الأبجدية العربية القديمة (أو الخط العربي المبكر) خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين ثم اشتقاق الأبجدية الكوفية (أو الخط الكوفي) منها في صدر الإسلام.



شكل(١٢) خريطة لليمن توضح مسار الطريق التجاري العظيم الذي يبدأ من كل من ميناء بئر على وميناء عدن، ثم يتجه شمالا مارا بعواصم الدول اليمنية القديمة وهى: « شبوة » عاصمة دولة حضرموت، ثم « تمنع » عاصمة دولة قتبان، ثم « مأرب » عاصمة دولة سبأ، ثم « معين » عاصمة دولة معين، ومنها يتجه الطريق شمالا حتى عواصم دول الحجاز ومدين تقارن الخريطة شكل (٢١).

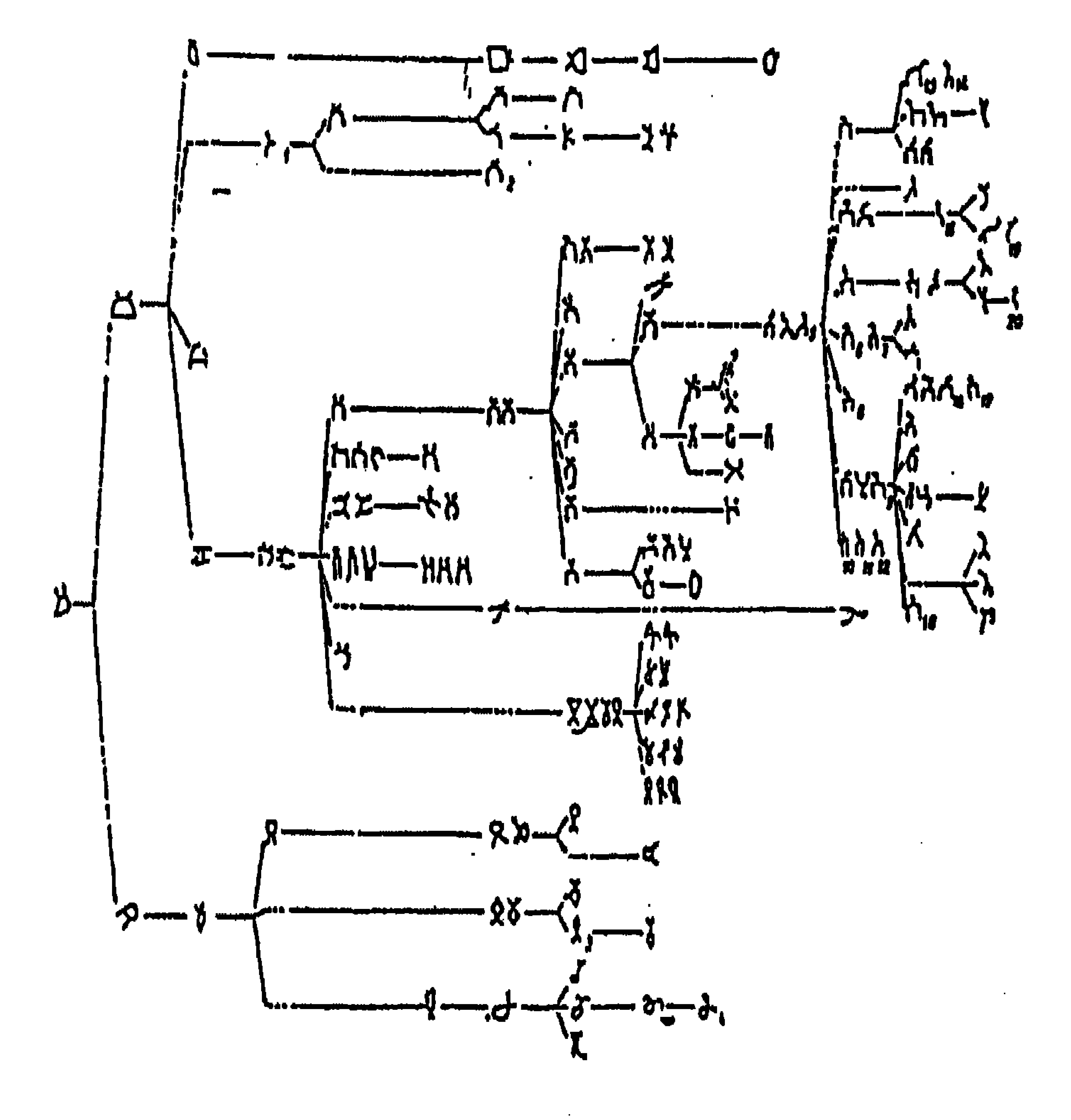
الأبجدية السامية الجنوبية المبكرة (الخط المسند)	الأبجدية السينائية المبكرة (البروتو سينائية)	الحرف
(Jamme)		أ
		ب
		ج
(Jamme)		د
(Jamme)		ذ
		ه
(used for y)		و
	?	ز
		ح
(Jamme)		خ
	?	ط
(orig. w)		ي
		ك
(Jamme)		ل
(4th) (8th)		م
		ن
	?	س
		ع
(Jamme)		غ
		ف
		ص
	?	ض
(Jamme)		ق
		ر
		ش
(Jamme)		س
X + (Jamme)	+	ت

شكل (١٣) جدول يوضح اشتقاق حروف الأبجدية السامية الجنوبية المبكرة (الخط المسند الجنوبي) من الأبجدية السينائية المبكرة (البروتو-سينائية) ويلاحظ على أشكال الحروف نفس الظاهرة التي حدثت للحروف السينائية المبكرة في الشام وهى ابتعادها عن الشكل الصوري وظهور الشكل الخطى فيها.

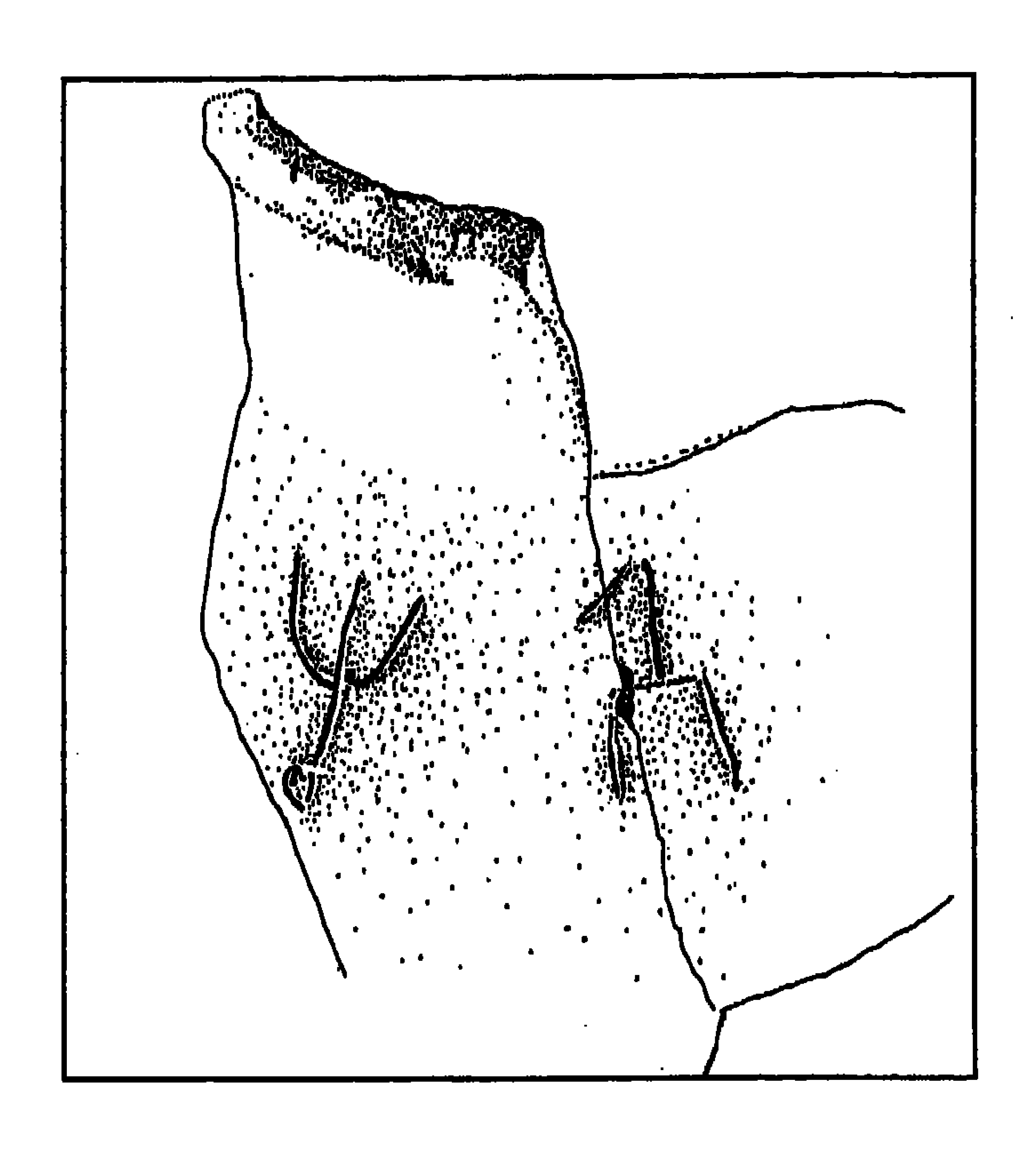
رقم السطر	الدلالة الصوتية (النطق)	الترجمة
١	ل ح ى / [ع ث ت / و]	لحى عثت (اسم شخص)
٢	[هـ ل ك ا م] / ر / ب	وهلك امر (اسم شخص)
٣	ن / ع [م ع هـ ر / ا]	أبناء عم عهر
٤	ب ن / ح ى و م	بني حيوم
٥	/ ر ش و / ا ل م	كاهن (الإله) " إيل -
٦	ق هـ / و ذ ت / ح	مقة (المقة) "والإلهة ذات
٧	م ى م / و س م	حميم و(الإله) سامع
٨	ع / ذ ظ ب ي ت	ذو ظبية
٩	و ع ث ت ر / س م	و(الإله) " عثتر سامع "
١٠	ع / هـ ق ن ي / س	كرسوا
١١	م ع / ذ ظ ب ي ت	(للإله) سامع ذو ظبية
١٢	/ ع م / ذ ر أ / و	عم ذرأ (أسم شخص)
١٣	ول د هـ م ي / و	وأولادهما
١٤	ق ن ى هـ م ي /	وأملاكهما (أو عبيدهما)

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14

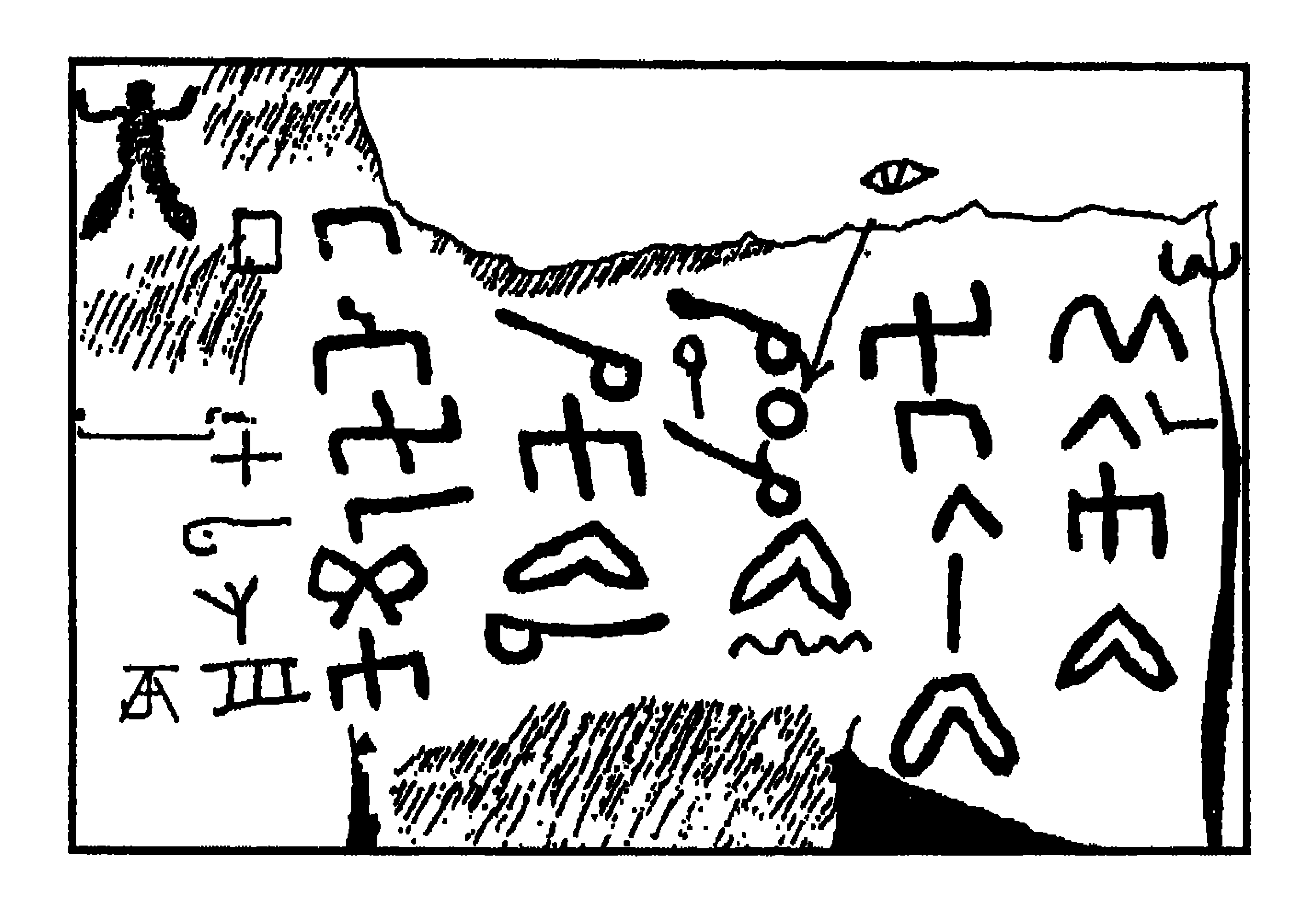
شكل (١٤) نموذج لحروف الأبجدية السبئية (الخط المسند الجنوبي) في نقش محفور على لوحة من المرمر يسجل تكريس أسرة للخدمة الدينية في معبد أحد الآلهة وقد كتب النقش بالطريقة الحلزونية التي اتبعت في النقوش السبئية المبكرة (من عصر المكارب حوالي القرن الثامن قبل الميلاد) وتتلخص هذه الطريقة في كتابة السطر الأول من اليمين لليسار والثاني من اليسار لليمين والثالث من اليمين لليسار وهكذا، وهذه الطريقة اتبعت في كتابة بعض النصوص السينائية المبكرة مما يشير إلى الأصل السينائى للخط المسند. هذا ويلاحظ أن أشكال الحروف يسودها الشكل الخطي تجردت من الشكل الصوري الذي يميز الحروف السينائية المبكرة، كما يفصل بين الكلمات خطوط أو شرط رأسية وهى من مميزات كتابة الخط المسند الجنوبي. وقد وضحت بجوار النص قراءته وترجمته سطرا سطرا.



شكل (١٥) مراحل تطور حرف الألف السينائي المبكر الذي على شكل رأس ثور أي من الشكل الصوري إلى الشكل الخطى الصرف في أبجدية الخط المسند كما يظهر في النقوش المبكرة على صخور منطقة العبر في شمال اليمن وهذا من أدلة انتقال الأبجدية السينائية المبكرة نحو اليمن واشتقاق أبجدية الخط المسند الجنوبي منها. ويلاحظ أنها نفس الظاهرة التي حدثت للأبجدية الكنعانية فلسطين وهي تحول أشكال الحروف من الشكل الصوري في السينائية المبكرة إلى الشكل الخطى.



شكل (١٦) نقش على بقايا جرة وجدت في منطقة «تل الخليفة» بالقرب من ميناء العقبة، يظهر فيه حرفان من حروف الخط المسند الجنوبي المبكر، وهما حرف الألف (إلى اليمين) وحرف الحاء أو الصاد المقلوب (إلى اليسار). ويدل وجود هذا النقش في هذه المنطقة بالإضافة إلى وجود مراحل تطور لحرف الألف السينائي في شمال اليمن كما ذكرنا شكل(١٥) على أن انتقال الأبجدية السينائية المبكرة إلى اليمن حدث عبر الطريق التجاري العظيم الذي كان يمتد من جنوب اليمن نحو الشمال مارا بالمناطق المحيطة بمدينة العقبة ومنتهيا بالفرع الغربي لهذا الطريق عند مدينة غزة في فلسطين.



شكل (١٧) نقش سبئي مبكر يظهر فيه التشابه بين أشكال بعض حروفه (المكتوبة بالخط الثقيل) وبين حروف الأبجدية السينائية المبكرة (المكتوبة بالخط الرفيع) المناظرة لها، كما تظهر فيه الكتابة في خطوط رأسية التي هي من خصائص الكتابة السينائية المبكرة التي ورثتها عن الكتابة الهيروغليفية المصرية، وهذه كلها من أدلة اشتقاق أبجدية الخط المسند الجنوبي من السينائية المبكرة.

الحرف	الخط المسند	الأبجدية اللحيانية	الأبجدية الثمودية	الأبجدية الصفوية
ا				
ب				
ج				
د				
ذ				
ه				
و				
ز				
ح				
خ				
ط				
ظ				
ي				
ك				
ل				
م				
ن				
س				
ع				
غ				
ف				
ص				
ض				
ق				
ر				
ش				
ت				
ث				

شكل (١٨) جدول يوضح اشتقاق الأبجديات العربية الشمالية وهي اللحيانية والثمودية والصفائية (التي يجمعها مسمى واحد هو «الخط المسند الشمالي») من الأبجدية العربية الجنوبية (الخط المُسند الجنوبي).

[illegible]	[illegible]	[illegible]	الحرف
አ	አ	𐩱	أ
በ	በ	𐩨	ب
ገ	ገ	𐩴	ج
ደ	ደ	𐩵	د
ሀ	ሀ	𐩠	هـ
ወ	ወ	𐩥	و
ዘ		𐩸	ز
ሐ	ሐ	𐩢	ح
ጠ		𐩷	ط
የ	የ	𐩺	ي
ከ	ከ	𐩫	ك
ለ	ለ	𐩡	ل
መ	መ	𐩣	م
ነ	ነ	𐩬	ن
		𐩯	س/ز
ዐ	ዐ	𐩲	ع
ፈ	ፈ	𐩰	ف
ጸ	ጸ	𐩮	ص
ቀ	ቀ	𐩤	ق
ረ	ረ	𐩧	ر
ሠ	ሠ	𐩦	ش
ተ	ተ	𐩩	ت

شكل(١٩) مراحل اشتقاق حروف الأبجدية الحبشية القديمة (التي تطورت إلى الأثيوبية أو الجعزية) من حروف الأبجدية السبئية (الخط المُسند الجنوبي).

سطر١

القراءة: تـــه قـبر و صنـمـه كمبـو بر

الترجمة: هــذا (ال)قـبر صنعه (نحته) كعـب بن

سطر٢

القراءة: حـــر نـــت لر قو ش برت

الترجمة: حـــارثـــة لرقـــوش بنت

سطر٣

القراءة: عـبـد مـنو تـــو أ مـــه و هـى

الترجمة: عـبـد منـــــاة امه (والدته) وهـى

سطر٤

القراءة: هـــلكـت فـى ألحـجر و

الترجمة: هلكت (توفيت) فـى الحـجـر

سطر٥

القراءة: ســنـــه مـأ ه و ســتـيـن

الترجمة: ســنـــة مـــائة وسـتـيـن

سطر٦

القراءة: و تــتـيـن بيرح تــمو ز و لعن

الترجمة: واثـــنـــين في شهر تـــموز ولعن

سطر٧

القراءة: مر ى علـمـا من يـغيـأ ا للقبر و

الترجمة: ســـيد العـالم من يبنأ القبــر (يعتدى على)

سطر٨

القراءة: نا و مـن يـفـتحـه حـنى

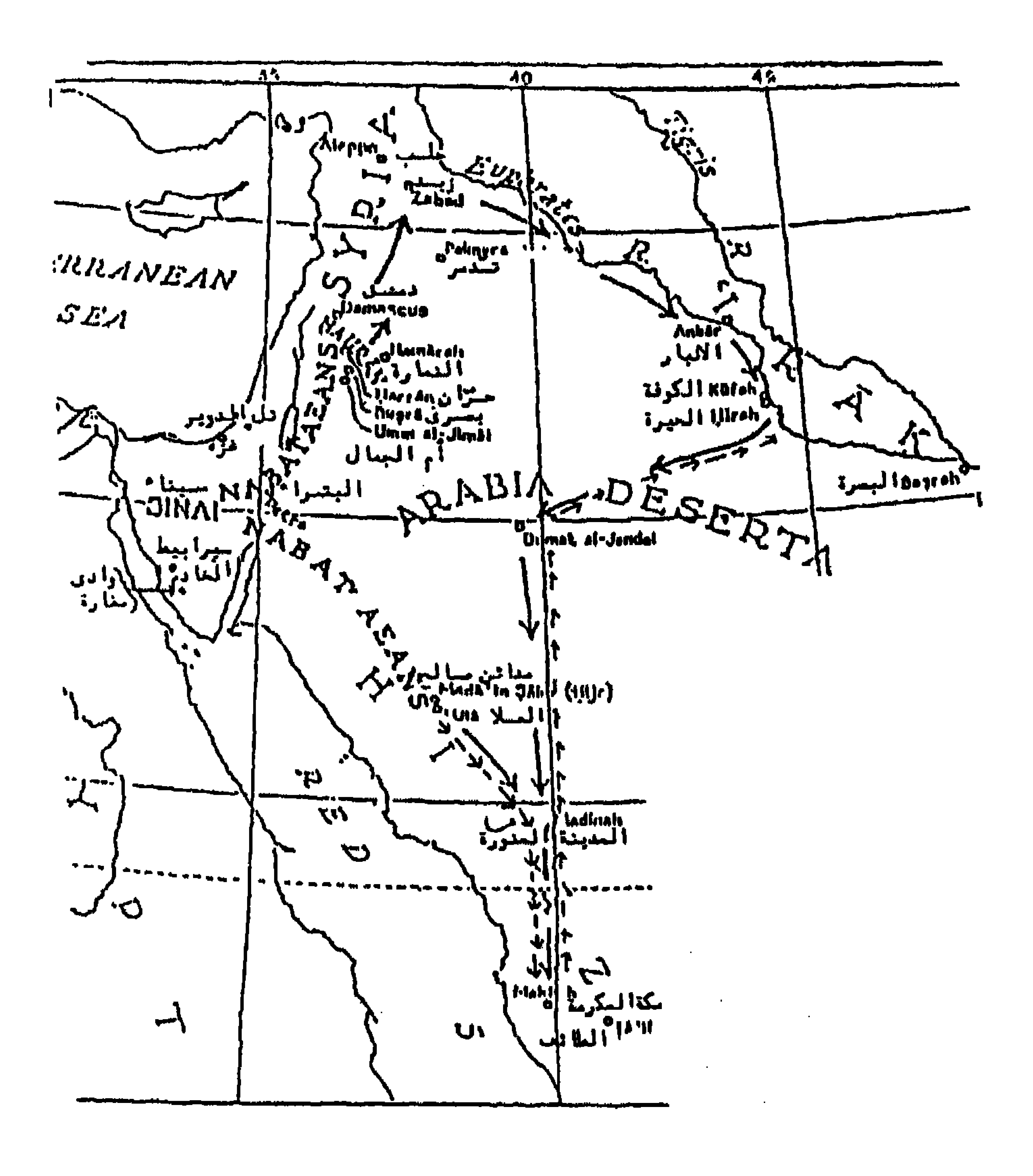
الترجمة: هذا (ده) ومـن يفـتحـه حاشــا

سطر٩

القراءة: ولده ولمـن مـن يغير د اعلى منـه

الترجمة: ولدها ولمـن من يغير هذا (الذى) اعلاه (ربما المقصود هذه الكتابة)

شكل (٢٠) نقش « رقوش بنت عبد مناة » المحفور على الصخر بجوار فتحة مقبرتها في مدائن صالح، ويُلاحظ من تتبع القراءة والترجمة التأثيرات العربية القوية فيه وخاصة أداة التعريف العربية « ال ».



شكل (٢١) خريطة توضح رأي المُستشرقين في نشأة الخط العربي والسهم المُستمر يوضح اتجاه انتقال الخط العربي في نظرهم (من حوران في الشام نحو الشمال ثم نحو الشرق على طول الفُرات حتى الحيرة ، ثم إلى الحجاز. وقد أضفنا السهم المُتقطع ----- لكي يوضح انتقال الخط العربي في رأي الباحثين العرب وطبقاً للأدلة التي قدمناها (من مدائن صالح نحو الجنوب إلى مكة المُكرمة ثم منها نحو الشمال مع الفتح الإسلامي للعراق إلى الحيرة ثم الكوفة) وقد أضفنا مراكز نشأة وانتشار الأبجدية السينائية المُبكرة.

بسم الله الرحمن الرحيم هذا القبر

لعبد الرحمن بن جبر الحجرى اللهم اغفر له

(او خير)(او الحجازى)

وادخله فى رحمة منك وآتنا معه

(او "وايانا")

استغفر له اذا قرأ هذا الكتب

(الكتاب) (قرأت)

وقل آمين وكتب هذا

الكتب فى جمدى الا

(الكتاب) (جمادى)

شكل (٢٢) نقش بالخط العربي المُبكر يرجع إلى عام ٣١ هـ محفور على شاهد قبر، وُجد في أسوان يخص عبد الرحمن بن جبر الحجري (أو الحجازي) (ربما كان جندياً في حملة بن أبي السرح على النوبة)، ويُلاحظ كثرة الأربطة فيه (تشابك الحروف) التي كانت سائدة في الخط النبطي راجع شكل (٢٠). كما يُلاحظ خلو الحروف من علامات التشكيل ونُقط الاعجام.

هذا السد لعبد الله معوية

امير المؤمنين بنيه عبد الله بن صخر

باذن الله لسنة ثمن و خمسين ا

اللهم اغفر لعبد الله معوية ا

مير المؤمنين وثبته وانصره ومتع ا

(مير ا) لمؤمنين به كتب عمرو بن جناب

شكل (٢٣) نقش محفور على الصخر بجوار سد الطائف، ويرجع إلى عام ٥٨ هـ ويُلاحظ وجود نقط الإعجام فوق بعض حروفه و أسفلها، مما يدل على معرفة العرب بنقط الإعجام واستخدامها في غير المصاحف حتى جاء تلاميذ أبي الأسود الدؤلي في العصر الأموي، وأضافوا نقط الإعجام للمصاحف في أيام عبد الملك بن مروان كما تقدم القول.

خزينة النقوش الإسلامية

THESAURUS D'EPIGRAPHIE ISLAMIQUE

فريدريك سودان
الباحثة فى مؤسسة ماكس فان بيرشيم فى جنيف
FREDREK SUDAN
ONDATION MAX VAN BERCHEM GENEVE

هناك مشروع جديد يتعلق بالنقوش العربية وكذلك الفارسية والتركية فى القرون الوسطى حتى عام ١٠٠٠، ما يساوى أواخر القرن السادس عشر (١٥٩٢/ ١٥٩١) وهو برعاية وتمويل مؤسسة ماكس فان بيرشيم فى جنيف(سويسرا).

فلنذكر أنّ ماكس فان بيرشيم ، العالم السويسرى المشهور، يأتى فى طليعة الذين أسسوا علم النقوش العربيّة فى أواخر القرن التاسع عشر.إن هذه المؤسسة ، فضلاً عن نشاطها فى تمويل المشاريع العلمية، تعد مركزاً للتوثيق الخاص بعلم النقوش العربيّة ، حيث توجد فيها مخطوطات ماكس فان بيرشيم بخلاف صور نادرة من النقوش وكذلك مراسلاته مع علماء آخرين من عصره. وهذا التراث الفريد من نوعه لا يزال مصدراً وافراً للمعلومات بالنسبة للمستشرقين فى جميع أنحاء العالم.

وبالتالي يعد إنجاز (خزينة النقوش الإسلامية) من بين أهمّ النشاطات التي حظيت بدعم المؤسسة ويأتي هذا العمل مباشرة فى إطار تقاليد علم النقوش الذي أسسه ماكس فان بيرشيم.

من أهداف هذا المشروع تغطيه بمحمل العالم الإسلامي. وقد تم توزيعه على شكل أقراص مضغوطة للنقوش العربية(cd rom). وكل دفعة سنوية من الأقراص تحتوى على تسجيلات من منطقة محددة.

كانت الدفعة الأولى (وقد صدرت فى ١٩٩٨) تحتوي على تسجيلات المغرب (والجزائر وتونس وليبيا) والثانية (١٩٩٩) على تسجيلات الجزيرة العربية (السعودية العربية، اليمن، بحرين والإمارات) والدفعة الثالثة تحتوى على تسجيلات آسيا الوسطى السوفيتية سابقاً.

أما الدفعة الرابعة فهي تخصّ النقوش المصرية : منها النقوش الجنائزية والأثرية وكذلك نقوش التحف الأثرية. وهذا القرص المضغوط سوف يكون جاهزاً عام ٢٠٠٣ لأننا على وشك انتهاء من مراجعة النقوش التي ستجمع لأول مرة جمعا كاملاً.

فلنبدأ بنشأة قاعدة المعلومات هذه المسماة (خزينة النقوش الإسلامية)

اعتمدنا أوّل الأمر على ما يسمّى (الفهرس الموسوعي التاريخي للنقوش العربية) (RCEA) الذي ظهر في أوائل القرن العشرين (١٩٣١) على يد كبار المستشرقين مثل(Jean Sauvaget,Gaston Wiet et Etienne Combe) ولسوء الحظ انقطع اصدار هذا الفهرس ما بين ١٩٦٤ إلى ١٩٨٢ عندما تولّى زمام الأمور من جديد الأستاذ الفرنسي(L. Kalus) ونُشر المجلّدان الآخران تحت إشراف (D.et J.Sourdel et Nikita Elisseef) مع تطور الفنّيات وتقدّمها سعى الأستاذ (L.Kalus) وراء توسيع نطاق نفوذ هذا الفهرس وبذل جهدا كبيرا ليضعه تحت تصرف الجميع، و بخاصة العلماء الذين هم في حاجة إلى علم النقوش.

وفيما يلي أقدم وصفا موجزا لقاعدة المعلومات

تتمحّور قاعدة المعطيات حاليا حول ملّفين رئيسين تم الوصل بينهما وهما(ملّف النقوش)و(الملّف الجغرافي)

١) ملّف النقوش

توجد فيه العناصر المختلفة لكلّ نقش في ملفّ أساسي مكوّن من عدّة زوايا مصنّفة. وبصورة عامةّ يمكن ترتيب هذه الزوايا كما يلي:

أولاً- تعيين التواريخ الهجرية وتحويلها إلى الميلادية وكذلك التواريخ المذكورة وفق تقاويم أخرى مستخدمة في نطاق العالم الإسلامي(عصر الإسكندر/عصر قيصر/التقويم القبطي أوالشمسى الإيراني)

ثانياً- تعيين مواقع النقوش ويجرى تصنيف المواقع التي عثر فيها على النقوش حسب البلدان ضمن إطار الحدود السياسية الراهنة لكلّ بلد. وبالنسبة للنقوش الموجودة على أشياء منقولة يذكر أسم المكان الذي يفترض أنّها صنعت فيه.

ثالثاً- يأتى ذكر مكان حفظ النقش(المتاحف أو المجموعات الخاصة) أو المواقع الحالي إن كان معروفا.

رابعاً- الخصائص الخارجية للنقوش وأعني بذلك الوظيفة الأساسية للنقش **كاللغة** وقد تكون واحدة لكن يمكن أن تكون بعض النقوش بلغتين أو ثلاث لغات كما توجد أيضا نقوش امتزجت فيها لغتان أو عدة لغات لتكوّن نصّا واحدا،**الكتابة** زاوية مفهرسة تبيّن تسمية نوع الأحرف، وتصف عناصرها الهامّة، **موضوع النقش** وتتضمّن هذه الفئة النصب الأثرية أو البنائية التي توجد ركيزة النقش فيها.

وصف النقش ذاته استناداً للمرجع المتضمّن للنصّ الأساسي ويجرى استنساخ نصوص النقوش سطراً بسطر. وعند وجود عدّة احتمالات للقراءة تستخدم الطريقة الكلاسيكية الكامنة فى إضافة الملاحظات. ولا تؤخذ القراءات غير الجديّة بعين الاعتبار.

يضطر فى بعض الأحيان وبالنسبة لبعض النقوش إلى استنساخ النص كما ورد فى المرجع.

• ترجمة النص

ولا نهدف فى الوقت الحاضر إلى تقديم الترجمة الفرنسية أو الإنكليزية للنصّ. مع أنّه قد توجد ترجمات نقوش لم يعثر عليها بلغاتها الأصلية أيا كانت هذه اللغة.

ومن المفترضّ أنّ مستعملي قاعدة المعلومات هذه يجيدون اللغة العربية.

• وأخيراً الشرح

الذي يتضمّن ملاحظات مختلفة تتعلّق بتأريخ النقوش وجغرافيتها وخطوطها القديمة والحقيقة الزمنية التي أنجزت فيها والمراجع التي تتناولها بالبحث.

٢) الملف الجغرافي

تحتوي هذه الفئة علي جميع أسماء الأقطار المذكورة فى القاعدة ورتّبت بطبيعة الحال ترتيبا أبجديا.

إنها تعكس كثافة وجود النقش فى مختلف مناطق العالم الإسلامي بأماكنها الراهنة.

وعددها لا يقلّ عن ٥٥ بلداً. نظراً لوجود كتابات مختلفة لاسم الموقع ذاته بالنسبة للعديد من المواقع، نشير بنجمة للتسمية(الرسمية) المعتمدة و(المشفوعة) بتعريف للموقع وأسماء المراجع التي تتناوله بالبحث. امّا الكتابات الأخرى لإسم الموقع ذاته، فهي تدخل ضمن القائمة الموضوعة حسب الترتيب الأبجدي مع الإرجاع إلى الكتابة(الرسمية).

وفى حقيقة الأمر يتميّز هذا المشروع الحديث بالتنوّع الكبير للمعايير التي يمكن على أساسها البحث عن المعطيات المراد العثور عليها. يستطيع مستعملو(أجهزة الماكينتوش) البحث بشكل مباشر وسريع عن أي مصطلح من بين مجمل النقوش.

هكذا جعلت هذه القاعدة تحت تصرف الجميع وخاصة العلماء الذين يهتمون بعلم النقوش سواء أكانت بحوثهم فى المجال التأريخى أو الجغرافي أو الأثرى أو الفيلولوجى إلى آخره..

ومن جهة أخرى هذه القاعدة قابلة لتغيير مستمر ولذا فإنّنا بمعزل عن النمو الدائم للقاعدة التي (تعزز) باستمرار بمعطيات جديدة. سنركّز جهودنا كلّ عام على منطقة معينة للقيام فى

إطارها بعمليات التدقيق اللازمة وتنقيح لوازم علم النقوش المجمعة و تحسينها لكي يتسنى تقديمها للجماعة العلمية الدولية.

أما لمناطق التي نحن بصدد إنجازها فى السنوات القادمة فهي كمايلى

-بلاد القوقاز وروسيا وأوكرانيا.

-شبه القارة الهندية.

-الشرق الأقصى.

-تركيا.

-إفريقيا السوداء.

-الشرق الأدنى.

-العراق.

-إيران وأفغانستان.

- أوربا الشرقية (قبرص - اليونان - ألبانيا - البلقان - بلغاريا - المجر)

إذن نظرة واحدة نلقيها على هذه (الخزينة للنقوش الإسلامية) ترينا كثافتها بل ثروتها.
إلا أن الأساس الذي تم تشكيله يضم حاليا اكثر من ٢٠٠٠٠ تسجيل/نقش من مجمل العالم الإسلامي حتى عام ١٠٠٠ هجريا.

وبعد أن بدأ هذا المشروع يثبت وجوده، فإنه لا يخفى علينا بعض عيوب ونقائص ، منها مثلا عدم تصوير النقوش المنشورة أو الخرائط ولا تزال هناك مراحل كثيرة ومعقدة علينا أن نجتازها.

التعاون

وخلاصة القول بودّى أن أثير اهتمام العلماء إلى التعاون بهذا المشروع المهم.كما كان الأمر فيما سبق بالنسبة إلى المناطق المدروسة.وجعلت تحت تصرّفنا الأعمال المنجزة خلال السنوات الماضية ولاسيّما رسائل الدكتوراة أو المقالات التي لم تنشر بعد أو تكاد تكون غير معروفة فى الغرب.

النقوش والكتابات الأثرية بقصور الحمراء وأهميتها لتعريف بقصور الحمراء

الدكتور/ محمد الجمل
مدرس بكلية الآداب جامعة إسكندرية

يرجع الفضل الى سلاطين بني نصر في إنشاء مجموعة قصور الحمراء التي تضم عدداً من الوحدات المعمارية بعضها قاعات ومجالس وبعضها أبهاء وبساتين تتخللها الجداول والبرك الصناعية، خطط لها فوق تل السبيكة الذى عرف بهذا الاسم لتحوله الى اللون الذهبي عندما تسقط عليه أشعة الشمس، وقد اتسعت الحمراء بما أُضيف إليها من قصور وأبراج وقاعات ومرافق مختلفة ومتعددة الأغراض، حتى أصبحت بحق مدينة ملكية تضم القصور والحمامات والمساجد السلطانية والمتنزهات وصهاريج المياه وتطوقها الأسوار والأبراج المحصنة.

وأقدم قصور بنى نصر التى أقيمت بالحمراء كانت من إنشاء السلطان الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر، الذى وضع النواة الأولى للأسوار والقصبة والقصور فوق القمة المعروفة بالسبيكة، ثم تتابعت الزيادات في القصور والمجالس والقاعات على يدي عدد من سلاطين بنى نصر شارك كل منهم بالإضافة والزيادة في إنشاء مجموعة قصور الحمراء.

ويمكننا أن نقسم مجموعة الأبنية المؤلفة لقصور الحمراء الى مجموعتين، المجموعة الأولى وتنسب الى السلطان يوسف الأول (٧٣٣هـ - ٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م) وتشمل قاعة السفراء ويعلوها البرج المعروف بقمارش، وباب الشريعة، والحمامات السلطانية، وبرجا الأسيرة وأبو الحجاج، ومصلى البرطل.

والمجموعة الثانية وتنسب الى السلطان محمد الخامس الغنى بالله وتضم مجموعة بهو الأسود أو السباع الذى يضم قاعتي الأختين وبنى سراج المتقابلتين، بالإضافة الى قاعة الملوك وقاعة المقربصات، ويرجع أيضاً الى السلطان محمد الخامس من أبواب الحمراء باب النبيذ.

أما المجموعة الأخرى من قصور الحمراء فترجع الى عدد من سلاطين بنى نصر، ساهم كل منهم بالإضافة والتجديد والتعديل في الحمراء، فيرجع قصر البرطل ومسجد الحمراء الى السلطان محمد الثالث، ويرجع الفضل في إنشاء قصر جنة العريف الى السلطان أبي الوليد إسماعيل (٧١٣-٧٢٥ هـ/١٣١٣-١٣٢٤ م)، بينما برج الأميرات الى السلطان محمد السابع، كما أسهم سلاطين آخرون في الزيادة والتجديد بقصور الحمراء من بينها إضافات في أبهاء القصور وبساتينها سواء بالبنيان او الزخرفة مما يصعب أحياناً تحديد وتمييز أعمال كل منهم عن الآخر.

النقوش المدونة على جدران الحمراء

تزدان جدران قصور الحمراء بروائع النقوش الكتابية لوزراء وشعراء بنى نصر أمثال ابن الجياب وابن الخطيب وأبن زمرك، وتتوزع تلك الأشعار على جدران ونافورات الحمراء في مواضع حمراء فهي تمتد في افاريز متعددة الأشكال داخل القاعات وخارجها وعلى الواجهات والأبواب والنافورات وتتخذ شكل افاريز طولية وعرضية تمتد الى مساحات واسعة متناظرة ومتماثلة وتدور على جدران القاعات بحيث لا يخلو جزء من الجدران من النقوش الشعرية بين مهاد من التوريقات النباتية والزخارف النباتية المتعددة الأشكال والأنواع.

ولاشك أن عرفاء العمارة والفنون في عصر بنى نصر وفقوا غاية التوفيق في إبراز القيم الفنية والجمالية عن طريق الربط بين جمال الزخارف والنقوش الكتابية، ونجحوا في مزج المنظر الطبيعي بالبناء، وخلطوا بين الأدواح والأشجار وبين البوائك والعمد، ومما لاشك فيه أن مزج التوريقات الحية بالتوريقات والنقوش الجصية الملونة التى تكسو كافة الجدران كان له اعظم الأثر في إحداث تأثير جمالي بسيط في مظهره قوى في تأثيره في النفس، فقد استطاع العرفاء والفنانون تسخير الزخرفة التى افتتنوا بها في إبراز التوازن والتناسق الذى يعتبر من أخص مميزات الفن الإسلامي، وكأنما ينظمون قصيدة او ينشدون لحناً يثير النشوة والإعجاب.

أهمية النقوش والكتابات الثرية على جدران الحمراء

تعتبر النقوش الكتابية على الآثار الإسلامية في الأندلس من أهم المصادر بالنسبة للدراسات التاريخية والحضارة الإسلامية لأن أكثر ما وصلنا في المصادر العربية لا يغطى معظم الجوانب الحضارية، ولذلك السبب أصبحت للنقوش الكتابية أهمية بالغة بما تتضمنه من تواريخ ثابتة لهذه الآثار وما تحويه من منشآت دينية ومدنية ودفاعية، وتتضمن أيضاً أسماء منشئيها من الأمراء والحكام والسلاطين والخلفاء، وتواريخ تتعلق بهم وبالصلات بين الأقطار المختلفة، مما قد يصحح معلومات او يسد فجوات في وثائق تاريخية او أثرية.

وتتضمن أيضاً النقوش الكتابية في معظم الأحيان أسماء العرفاء والمهندسين والمذوقين الذين أشرفوا على إنشائها وتزينها وهى أمور غفلت الوثائق التاريخية عن ذكرها على هذا النحو من الدقة، لذلك تعتبر تلك النقوش مادة أساسية للكتابة التاريخية والحضارية.

ولاشك أن الكتابات الأثرية والنقوش المسجلة على الآثار وثائق أصيلة يستند عليها المؤرخ في تأريخه للحوادث، فهي كتابات محايدة غير مغرضة وهى بالإضافة الى ذلك وثائق معاصرة للأحداث التى تسجلها لم تشوهها الروايات والنقول.

وقد صححت النقوش الكتابية المسجلة على الآثار أخطاء وقع فيها المؤرخون وحلت مشاكل عجز الباحثون عن حلها، فالنقوش المدونة على الآثار المعمارية والتحف والعملات الإسلامية تعتبر من المصادر الهامة لدراسة الجوانب السياسية والمذهبية والاقتصادية والاجتماعية بما تحتويه من ألقاب ودلالات ذات أهمية بالغة للمشتغلين في حقل الدراسات التاريخية والأثرية.

